ناجح المعموري

المسكوت عنه في ملحمة جلجامش





المؤلف: ناجح المعموري
عنوان الكتاب: المسكوت عنه في ملحمة جلجامش
الناشر: دار المدى
تصميم الغلاف: رولا ماجد
الطبعة الاولى: 2014



للإعلام والثقافة والفنون
Al-mada for media, culture and arts

بـغـداد : حـي ابـو نـؤاسـ - محلة 102 - شـارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بـيروت: الحـمـرا- شـارع لـيـون- بناية منصور- الطابق الاول
info@daralmada.com
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمـشـق: شـارع كـرجـيـة حـداد- متفرع من شـارع 29 آيـار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272
+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289



ناجح المعموري

المسكوت عنه في ملحمة جلجامش





الإهداء

إلى ولدي وصديقي العزيز وهب ناجح المعموري

ذراعي الذي لا يتعب




مكتبة
الفكر الجديد

قرأت ملحمة جلجامش[1] وما نشر حولها من دراسات فوجدت

---

(١) للملحمة ترجمات عديدة:

طه باقر، ملحمة جلجامش، ط٤ ١٩٧١، وزارة الثقافة ، ط٣ ١٩٧٥، وزارة الثقافة ، ط١٩٨٠، وزارة الثقافة.

د. سامي سعيد الاحمد، ملحمة جلجامش، دار الجيل بيروت ودار بغداد ١٩٨٤ - وطبعة اخرى عن وزارة الثقافة ١٩٩٠.

دياكونوف، جماليات ملحمة جلجامش، ترجمة عزيز حداد، منشورات مكتبة الصياد- بغداد ١٩٧٣.

عبد الحق فاضل، هو الذي رأى، وزارة الثقافة ١٩٨١.

فراس السواح، كنوز الاعماق-قراءة في ملحمة جلجامش، نيقوسيا ١٩٨٧.

انيس فريحة، ملاحم واساطير في الادب السامي، دار النهار ، ط٢، ١٩٧٩.

هربرت ميسن، ملحمة جلجامش، ترجمة حسن العمري، مطبعة الاديب- بغداد ١٩٨٥.

ساندرز، ملحمة جلجامش، ترجمة محمد نبيل نوفل وفاروق حافظ القاضي، دار المعارف بمصر ١٩٧٠.

رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، ترجمة الاب البير ابونا ود. وليد الجادر، جامعة بغداد، كلية الادب ١٩٨٨، دار الخريف/دمشق ٢٠٠٦.

توما الخوري، جلجامش بطل مابين النهرين، بيروت، بيت الحكمة، ط٢ ١٩٧٥.

ديوان الاساطير، قاسم الشواف، جـ٤، دار الساقي.

د . نائل حنون ملحمة كلكامش



اكثرها واقعة تحت هيمنة الاخر، وتمحورت مرددة توصلاته المصدرة لنا. لذا انشغلت بها زمنا طويلا وحاولت تقديم قراءة مغايرة وخصوصا في الصراع الذي دار بين الثقافة القمرية والشمسية والذي تمركزت حوله الملحمة والذي لم تنتبه له الدراسات بأستثناء دراسة الاستاذ فراس السواح. لان ثنائية الموت/ الحياة، لم تكن موضوعا اساسيا لها، مثلما اشارت لذلك الدراسات السابقة، لان هذه الموضوعة عرفتها الاساطير ايضا في العراق القديم ومنها -على سبيل المثال- اسطورة ادابا. لذا تمركزت دراستي حول الصراع بين الديانتين القمرية/الشمسية. واشرت بان جلجامش كان وظل مركزا حيويا في النص، ويمثل انكيدو هامشا فيه، على الرغم من انه قام بمهام عديدة وخطيرة. ولولاه لما استطاع الملك من تحقيق كل احلامه التي كان يطمح لتحقيقها. وحاولت رد الاعتبار لانكيدو، بأعتباره يمثل مجموعة الافعال البطولية المعروفة، بسبب وجوده حصلت المتغيرات الفكرية الكثيرة. التي تعمقت بالصراع الذي اتخذ اكثر من مسار. لكن الذي كتب النص لم يستطع التخلص من هيمنة مركزية المؤسسة الدينية والسياسية، ويكون محايدا في تعامله، لذا اختار نهاية مأساوية له وتقرر بأجتماع شكلي هيمن عليه الاله انليل اغتيال انكيدو.

إنّها محاولة جديدة، تسعى لإثارة الأسئلة والحوار. وأنا واثق بأنّ الملحمة، ستظل حيوية بقدرتها على تفعيل القراءة وتنويع مستويات التأويل وامتحان قدرة القارىء واختبار سلطته في الكشف والتحليل.



شكل – ١ صراع جلجامش وانكيدو


مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الاول

سلطة المرأة- قوة الحكمة

لقد هيمن جلجامش بشكل تام على مدينة اوروك، ومارس لهوه وعبثه مثلما اراد، فاتكا برجالها وشبابها، مغتصبا فتياتها، معلنا بذلك كامل سطوته وجبروته وطغيانه. فهو الملك المفوض من الاله «انليل» بالحكم

لم يترك جلجامش ابنا طليقا لابيه[٢]
لم تنقطع مظالمه على الناس ليل نهار
اهذا جلجامش، راعي اوروك المسورة
اهو راعينا القوي، الكامل الجمال والحكمة
لم يترك جلجامش، عذراء طليقة لامها
ولاابنه المقاتل، ولاخطيبه البطل. (ص٧٧)

وباستمرار الاضطهاد ونمو استبداد الملك، تشكلت بذرة الاحساس بذلك، بذرة تطورت بفعل عوامل عديدة، وصارت وعيا رافضا، متمثلا

(٢) النصوص مقتبسة من ترجمة الاستاذ طه باقر، وزارة الثقافة، ط ٤، وسنكتفي بالاشارة لرقم الصفحة فقط.



بالصراخ الرافض للمظالم اليومية. حيث استمع الالهة الى شكواهم وتذمرهم وتحقق لهم حلم تخليق شخص ند، كفوء للملك الطاغية.

ان موقف سكان اوروك بحاجة الى فحص، من اجل تلمس البذرة التي تطورت، وساهمت بتكونه وتشكله، ووصوله الى الصيغة التي استقرت عليها. وكان الموقف المتمثل بالشكوى والاعلان عنها، يمثل تطورا كبيرا في جانبه السياسي والاجتماعي. وأرى بان ذلك متأت من عوامل عديدة:

١- العبيديون، أقدم من سكن سومر ولابد وانهم قد جاؤوا ومعهم[٣] كراهية للطغيان وخوف من الخضوع- والا ما كانوا يهجرون مواطنهم الاولى. ويتيهون في البرية. كان بعض هؤلاء الرواد الاوائل يتصف بلا شك بالجموح وحب الخصام. وهي قسمات غذتها ورعتها المنازعات على الماء وحق التملك التي كانت سائدة طوال التأريخ السومري. ومعروف بان السومريين استلموا مكانا حط فيه من قبل العبيد ووشموا عليه تلك الصفات والخصال التي اشار اليها كريمر. وساهموا حتما بتشكيل ملامح الحياة من خلال تصرفاتهم اليومية والعلاقات فيما بين الاثنين. وحتما كان للعبيد دور في توشيم الحياة السومرية، بعد وفود السومريين والعيش معهم. لان الوافد الجديد يحاول التكيف مع الحياة الموجودة. بعقائدها وتقاليدها وطقوسها، وربما يكون للارث العبيدي دور في تشكيل الذهنية السومرية، التي قبلت التعايش مع السائد، لان الوافد لا يفكر في البداية بمقاومة البنية الذهنية السائدة، او الغائها والتقاطع معها. لذا

(٣) صموئيل نوح كريمر، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة / دار علاء الدين ، دمشق، ص٢٠٠.



صار التراث الخاص بالعلاقات والملامح العامة الاجتماعية والدينية للعبيد، مكونا فعالا في حياة السومريين وبنيتهم الذهنية، وبالتالي رسمت ملامح الحياة انذاك. لم يكن حب السومريين للقانون والعدل مستمدا بالضرورة من مثلهم العليا واخلاقيتهم السامية، بل من مزاج سومري نفسه، وهو مزاج يتصف بحب المنافسة والغلبة والتملك الفردي(٤). لذا لم يكن امام السومريين من فرصة الا القبول بما موجود لدى العبيد والتعامل معه باعتباره منتجاً للطرفين ومن ثم صياغته من جديد وانتاج مثلهم الخاصة.

٢- اشارت القوانين العراقية القديمة، ومنها قانون حمورابي، وبعض النصوص المسمارية الاخرى، الى عرض للطبقات الاجتماعية الكثيرة التي كان يتألف منها المجتمع العراقي القديم، والى الفئات الاجتماعية التي كانت تؤلف تلك الطبقات الاجتماعية. وقد اعترفت القوانين بوجود طبقتين رئيسيتين فقط. وميزت في المعاملة بين افرادها، وهما طبقة الاحرار وطبقة العبيد، وضمت طبقة الاحرار جميع الفئات الاجتماعية من السكان في المدينة والقرية من غير المملوكين لكن(٥) بعض الباحثين وجدوا بأن المجتمع العراقي القديم مكون من ثلاث طبقات اجتماعية، فضم اضافة الى طبقتي الاحرار والعبيد طبقة ثالثة وسطى، كان افرادها من غير العبيد، أي من الاحرار، ويساعدنا هذا التقسيم الاجتماعي على معرفة نوعية العلاقات التي كانت سائدة في العراق القديم والصراع الموجود العلاقة بين الاطراف. لقد اوجد التقسيم خدة في نمط السائدة. لانها

---

(٤) نوح كريمر.. سبق ذكره،ص٢٠٠.

(٥) د. عامر سليمان، العراق في التاريخ القديم، دار الكتب، الموصل، ص١٤٨.



محصورة بين طبقتين هما: الاحرار+العبيد، وما تخلفه ملكية الاول وتصرفها بوسائل الانتاج والاستثمار لكل الامكانات والقدرات الموجودة لدى العبيد وخصوصاً في مجال الزراعة.

اما التقسيم الاخر، الذي اضاف طبقة اخرى، وهي طبقة احرار لكنها ليست مستعبدة، أي طبقة ملاك صغار او حرفيين، حتى انها ولضعفها ظلت حريتها مقيدة، أي كانوا اكثر تماثلاً مع العبيد، في جانب مهم وحيوي، وهو تقييد الحرية. فوجود طبقة واسعة من العبيد، تشكلت لاسباب عديدة[٦] وتعرضت بشكل مباشر الى ملاحقة واضطهاد جلجامش، لانها اصلاً مضطهدة بسبب عبوديتها، مضافاً لها الطبقة المتوسطة، ذات الحرية المقيدة، كذلك اعداد غفيرة من طبقة الاحرار. هؤلاء كلهم ساهموا بالشكوى والاعلان عن موقفهم الرافض، والذي هو موقف اجتماسياسي واضح تماماً.

لذا كانت استجابة الاله، استجابة تمثل اتفاقاً مع الاغلبية المكونة من الاحرار المقيدين بحريتهم، والعبيد الذين وفر لهم تصاعد الاضطهاد، وردود الافعال ولادة بذرة الرفض فاشتركوا مع اوسع قاعدة من سكان اوروك ببلورة مواقف الرفض والاحتجاج، وعلينا الا نستغرب هذا في قراءة مرحلة قديمة جداً، لان مرحلة انتاج الملحمة شفاهياً وتدوينياً[٧] كان فيها المجتمع العراقي القديم قد وصل الى درجة متقدمة من التنظيم، تحدده القوانين الى جانب التقاليد والاعراف. وتراقب تصرفات افراده واجهزة الدولة المختلفة، التي يقف على رأسها حاكم دنيوي يمتلك

---

(٦) للاطلاع اكثر يراجع كتاب [العبيد في العراق القديم] للاستاذ صالح حسين الرويح.

(٧) د. عامر سليمان، ... العراق في التاريخ القديم، ص١٤٥.



الصلاحية والقوة اللازمة لضبط تصرفات الافراد ومحاسبتهم متى خرجوا عن القانون.

هذا التشكيل الاجتماعي، اوجد تبايناً في البنية الاساسية للمجتمع في اوروك، وخضعت هذه البنية لتأثيرات افعال الملك جلجامش. لذا نتج عنها فعل جمعي، يمثل نداء للاستغاثة، وذلك باعتباره ارقى انواع الرفض، في تلك الفترة التي هيمن عليها جلجامش مع السلطة الدينية باعتبارها موجهاً كاملاً للنظام السياسي، وهيمنت عليه وقادته، ووجهته من خلال كون جلجامش ممثلاً للاله «انليل» اولاً. ولان شخصيته حازت على صفات لاهوتية.

لقد حدث رد فعل في الملحمة، وتحقق لسكان اوروك اتفاق الالهة معهم في رفض افعال جلجامش. وصارت للرفض قاعدة اوسع، واكثر اهمية من القاعدة الاجتماعية، وتحقق لرد فعل السكان دعامتان هما اولاً:

الاجتماعية باطارها الواسع. وثانيهما الدينية، لذا استدعت الالهة، رب السماء الاله آنو، وقالوا له:

الم تخلق انت هذا الوحش؟
الذي لايضاهي فتك اسلحته سلاح آخر
والذي تستيقظ رعيته على ضربات الطبل
جلجامش لم يترك ابناً طليقاً لابيه
وما فتئ يضطهد (يكدر) الناس بمظالمه ليل نهار
على انه راعي اوروك السور والحمى
هو راعيهم لكنه يضطدهم، وهو قوي جميل وحكيم
ان جلجامش لم يترك عذراء لحبيبها ولا ابنة المقاتل ولاخطيبة البطل



ولما استمع «آنو» الجليل الى شكواهم دعوا «اورورو» العظيمة وقالوا لها:
يا «اورورو» انت التي خلقت هذا الرجل بامر «انليل»
فاخلقي الان غريماً له ويكن مضاهياً له في قوة اللب والعزم
وليكونا في صراع مستديم لتنال اوروك السلام والراحة
حالما سمعت «اورورو» ذلك
تصورت في لبها صورة لآنو
وغسلت «اورورو» يديها واخذت قبضة من طين ورمتها في البرية
وفي البرية خلقت «انكيدو» الصنديد، نسل ننورتا القوي ص٧٩، ٨٧

وباستكمال عملية خلق «انكيدو: ابتدأت مرحلة جديدة في الصراع داخل اوروك، لان الخلق كان نتيجة شكوى ورفض. وكان حقاً فعلاً اجتماسياسياً، واستعان العقل الجمعي والديني بالمرأة وسلطتها القمرية، التي انهزمت لاحقاً امام قوة الديانة الشمسية والتي احتلت موقع الصدارة في البنية الذهنية والفكرية الجديدة للعراق القديم. و لم يكن الاستنجاد بالسلطة القمرية، وسلطة الالوهة الانثوية، الا لتأكيد امكاناتها، ومكانتها، وقوتها، وبقاء فاعليتها، وتأثيرها في الحياة العامة، على الرغم من انها دفعت الى خط خلفي. لذا كانت كاهنة الرغبات واحدة من ممثلات الالهة «انانا» -عشتار- من خلال بقاء واستمرار الدافع الجنسي، وهي التي اوكلت لها مهمة التحاور مع انكيدو وسط البراري. لقد تجاورت الديانة القمرية مع الشمسية، وتحاورتا معاً. لكن الديانة القمرية، كانت مهيمنة في الخلق والحوار الاتصالي الشفاهي، والادخالي، حيث حصلت المتغيرات الاساسية والجوهرية في شخصية انكيدو.

ان الالهة «اورورو» هي المسؤولة عن نظام الامومة بوظائفه



الكبرى في الحياة، ومنها وظائف الخلق، لذا مثلت ايضاً الديانة القمرية في صراعها مع الديانة الشمسية. ولانها هكذا فانها هي التي خلقت انكيدو، وكانت ولادته ليلاً، أي في وقت قمري:

غسلت «اورورو» يديها[٨]
واقتطعت قبضة من طين وبصقت عليها
وخلقت في الصحراء انكيدو البطل
خليقة الصمت الليلي، قطعة من نينورتا

ان شمخت، وان كانت كاهنة للرغبات، فانها رسولة عشتار وناقلة لرغبتها، والمعرفة والحكمة ايضاً. فمادامت عشتار في بعض اوجهها ممثلة لعنصر الحكمة فانها مانحة لها، متجسدة ببغاياها وكاهناتها اللاتي يحملن العنصر ذاته، لذا كان اتصال البغي مع انكيدو ولفترة طويلة ومعروفة لنا، حددتها الملحمة «ستة ايام وسبع ليال» وواضح من خلال المدة بان ابتداء الاتصال كان ليلاً. ولم يكن الاتصال استهلاكيا فقط، وانما هو اتصال تبادلي -كما قال فراس السواح- للمعرفة ونقل الثقافة حيث تحول انكيدو، الى شخص آخر وجديد تماماً. وحصلت الانتقالة

---

(٨) رينيه لابات، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين، مختارات من النصوص البابلية، ترجمة البير ابونا . و . د. وليد الجادر، كلية الاداب، قسم الاثار، ١٩٨٨، ص١٩٦، وردت اشارة لوقت التخليق القمري ايضاً في ، (جماليات ملحمة جلجامش)، دياكونوف، ترجمة عزيز حداد، منشورات الصياد، ١٩٧٣، والنص هو فأخذت طينة/ ورمتها على الارض/ لاكت انكيدو/ فخلقت البطل/ المولود في منتصف الليل/ جندي نينورتا. اما النصوص الاخرى وهي كثيرة فلم تتضمن مثل هذه الاشارة.



المهمة في حياته، وتلك التي ستحدث لاحقاً في اوروك. على[٩] ضوء ذلك نستطيع فهم معنى البغاء المقدس الذي كان شائعاً في حضارات الشرق الادنى القديم، فالبغاء المقدس هو ممارسة جنسية مكرسة لمنبع الطاقة الكونية مستسلمة له. منفعلة به، ذائبة فيه، كالانهار التي تصدر من المحيط والى المحيط تعود. وكانت عشتار هي البغي المقدسة الاولى لانها مركز الطاقة الجنسية الشاملة التي لاترتبط بموضوع محدد. كما قال الاستاذ فراس السواح.

وليس انغماسها بالفعل الجنسي الدائم الا تعبيراً على مستوى الاسطورة عن نشاط تلك الطاقة التي لايهدأ، لان في سكونه همود العالم والحياة. تقول عشتار البابلية عن نفسها «انا» العاهرة الحنون وانا من يدفع الرجل الى المرأة ويدفعه المرأة الى الرجل» وفي نص هبوط عشتار الى العالم الاسفل نقرأ:

بعد ان هبطت السيدة عشتار الى ارض اللاعودة
اضطجع الرجل وحيداً في غرفته
ونامت المرأة على جنبها وحيدة

وفي ترتيلة بابلية الى عشتار من القرن السادس ق.م نقرأ عن سيدة الحب والدافع الجنسي

لك الحمد يا ارهب الالهات جميعاً

---

(٩) فراس السواح، لغز عشتار، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، قبرص، نيقوسيا، ص١٨١.



لك الاجلال ياسيدة البشر واعظم الالهة
موشحة بالحب والمتعة
تفيض طاقة وسحراً وشهوة
شفاهها عذبة وفي فمها الحياة
ظهورها ينشر الفرح والابتهاج
بيدها مصائر الاشياء جميعاً
نظراتها فيها الفرح
وفيها القوة والعظمة
آلهة حامية وروح حارسة

هذا ما رسمته الاسطورة الانثوية عن الالهة عشتار، وهي ذاتها التي اسقطت صفاتها العشتارية على واحدة من نساء او بغايا معبدها، واللاتي يمثلن وظيفتها التي اشرنا لها. والتي كانت فيها «شمخت» واحدة من فواعل التغيير الحاصل في الحياة والثقافة.

قصدت وحوش البر الماء، فصرخت وسرت قلوبها
اما انكيدو والذي كان مولده في التلال
والذي يأكل العشب مع الضباع ويرد الماء مع الحيوان
ويفرح لبه مع حيوان البر عند مسقى الماء
فأن البغي رأته، رأت الرجل الوحش
ابصرت البغي المارد، الآتي من قلب الصحارى
فأسر اليها الصياد: هذا هو ايتها البغي فاكشفي عن نهديك اكشفي عن عورتك لينال من مفاتن جسمك ص٨٣

تنامي الدور الديني والمعرفي والاجتماعي لشمخت يعني نمواً



وتصاعداً لبنية السلطة القمرية ولالوهة الانثى. على الرغم من انحسارها بعد هزيمتها امام السلطة الشمسية القامعة بقوة ذكورتها. كان للمرأة دورها الفاعل والمعترف به. واستطاعت في خطاب انثوي من تحقيق قوة الحضور المتعادل بين الحلم والمتحقق ، بين الطاغية والرعية، وبين الحضارة والهمجية والتخلف.

الغواية التي مارستها شمخت مع انكيدو، تعني الاعتراف بالدور الذي بإمكان المرأة النهوض به، وتوحيد ثنائية الفعل، الاغوائي والمعرفي معاً، ومن خلال العنصر الادخالي، الذي استجابت له استجابة كاملة، كاشفاً لدورها الحياتي الموكول لها اولاً ولسعيها من اجل عكس المعرفة التي استلمتها من معبدها ثانياً، حتى يكون لها تأثير في الحياة والكون. وفي حكاية ترويض (انكيدو) اتضاح للفعل الادخالي وانعكاساته على تجسيد مواقف ضعف في قدراته الخارقة المتمثلة بعدم قدرته على اللحاق بالحيوانات، وتطور وعيه، لكنه تطور بطيء في البداية.

صار فطناً واسع الحس والفهم
رجع وقعد عند قدمي البغي «شمخت»
وصار يطيل النظر الى وجهها
وكلما كلمته اصاغ بأذنه اليها
كلمت البغي انكيدو وقالت له:
صرت تحوز على الحكمة يا انكيدو ومثل اله ص٨٣

ومهما يكن فقد شبع من هذا الوصال المتمادي -كما قال الاستاذ عبد الحق فاضل- فقام منصرفاً الى اصحابه بين الحيوان. لكن الضباع ما كادت تراه حتى هربت من وجهه، وهمّ بأن يلحق بها فلم يستطع. فقد خارت قواه وخذلته ركبتاه، وهكذا نبذته الحيوانات، لانه فقد «براءته»





شكل – ٢ جلجامش والافعى

الى الابد.... ان الذي كتب يقول عن انكيدو الذي نفرت منه حيوانات البرية، وعجز عن اللحاق بها لانهيار قواه من فرط الوصال «إنه اصبح فهيماً ذا بصيرة».

ان صيرورة الرجل الغفل فهيماً، ذا بصيرة، بعدما عرف المرأة تذكرنا بحالة مشابهة في التوراة .

كان ضعف بعض قدراته، قد خلق نمطاً جديداً من العلاقات لم تكن موجودة سابقاً، مما اضطر للتآلف مع المكان الجديد والتكيف مع الجماعة التي صارت بديلاً عن جميع الحيوانات. وهذا موقف حياتي جديد ومهم ايضاً. وحقق فعل الاتصال الشهوي والمعرفي تطوراً واسعاً في تفكيره. واستطاع الجنس كمدار اخصابي، من احداث اكبر الانقلابات في حياة الفرد/انكيدو. والشواهد على ذلك كثيرة. في المجتمعات الزراعية المحكومة بالثقافة القمرية، وسلطة الالهة الام الكبرى فيها.

حققت «شمخت» نجاحاً وتفوقاً، لانها استطاعت ترويض شخصية غريبة الاطوار ترويضاً مهماً، من خلال الاتصال الادخالي والمعرفي، وبواسطة الحوار التبادلي لاحقاً. حيث حصل الافتراق بينه وبين مجتمع التوحش الحيواني. لقد شكلت سلطة الانوثة وبمشاعر الرغبة، وعواطف الامومة شخصية «انكيدو» وملامحها الجديدة، المتمثلة بحصول الفجوة بين مرحلتين من حياته. مرحلة تناولتها بالتفصيل قراءة الاستاذ محمد خليفة حسن، حيث اثر نهوض ملامح جديدة لمرحلة مغايرة، تمثلت بالانتقال من البداوة الى الحضارة[١٠].

---

(١٠) يراجع للاطلاع الاسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨.



وظهر ذلك بالتغيرات التي طرأت على «انكيدو» وتتلخص بزوال الصفات الحيوانية. حيث لم يعد قادراً على العدو كالحيوانات. وعندما اكتشفت الحيوانات ذلك هجرته. لانه لم يعد واحداً منها. ومع فقدانه لصفاته الحيوانية اكتسب فهماً ومعرفة.

قفز «انكيدو» فخارت قواه

وخانته قدماه

وتركته الوحوش

رضخ انكيدو حيث لم يستطع العدو كالسابق

لكنه اصبح اذكى واكثر فهماً

فعاد وقعد عند قدمي البغي

فصار ينظر الى وجهها

وكل ما تقوله كانت اذناه تصغيان اليه

ويكشف لنا هذا النص بداية استخدام الحواس عند «انكيدو» كمصادر للمعرفة، كما ان القوة المقهورة في داخله، هي القوة الحيوانية، غير القادرة على التجسد بعد ذلك، واكتفى بقوته البدنية.

تم تخليق شخصية «انكيدو» لاسباب دينية، ودوافع اجتماسياسية، وقدمت لنا تصوراً واضحاً عن جدل السلطتين القمرية والشمسية. وكيف استطاعت كاهنة الرغبات، قيادة هذا الجدل، وتطويره الى صراع معرفي شامل. انتصرت فيه سلطة الانوثة، واكدت حقيقة فاعلية المرأة وخطاب الانوثة، الذي ظل فاعلاً بعد انحسار سيادته التامة. وكما



فتحت[11] رسولة عشتار عين «انكيدو» على عالم المعرفة، كذلك فتحت رسولة عشتار في هيئة افعى عين آدم وحواء على المعرفة، فاعطته ثمار شجرة المعرفة القائمة وسط الجنة ونقلتهما من عالم يعيشان فيه شبحين بلا ظل، الى عالم الطبيعة الحافل بافراح مفتوحة على الفراغ اللانهائي. لقد نشطت السلطة الثانية (المعرفة) في اعماق «انكيدو» وكان لها فعل كبير ومؤثر. اعطى اهم النتائج المتمثلة بتآلفه مع الحضارة، وتنامي حسه وتطور وعيه الانساني وإيمانه بضرورة مناصرتهم ومنع اضطهادهم وقهرهم اليومي المستمر لذا استجاب لكاهنة الرغبات في الدخول الى مدينة اوروك. وتقدم لنا الملحمة اشارة لبقاء هيمنة السلطة القمرية/ سلطة المرأة عليه ممثلاً في :

هلمي ايتها البغي خذيني الى البيت المشرق
مسكن آنو وعشتار ص٨٤

لقد ابتدأت مرحلة التكشف الجديدة له. مرحلة ابصار الحقائق، ومعرفتها بوعي، والاتجاه معها. بخط مسير واضح. حيث اكدت تجربته الجديدة وجود طرفين للحياة. **الطرف الاول**: مدينة اوروك وحضارتها التي اسست معها أيدلوجية سياسية، متمثلة سياسة القهر والاضطهاد والاغتصاب. **الطرف الثاني**: حياة البراري التي غادرها، لكنه ظل محكوماً لها وحاملاً تأثيرها ، وهذا ما ظهر كمسكوت عنه في شخصيته، وحاولنا فحصه وتأويله في هذه الدراسة.

كان نزوح «انكيدو» بمثابة تحقق بنية جذب نحو اوروك، ولم يكن

---

(١١) فراس السواح، لغز عشتار، سبق ذكره، ص٢٤٧.



هذا الجذب بفعل تأثير احادي، هو الاغراء وقوة الاغواء، وانما يكمن السبب الاكثر تأثيراً في الحوار التبادلي بينهما.

صرت تحوز على الحكمة يا «انكيدو» واصبحت مثل اله ص ٨٤

لقد استلم انكيدو المعرفة والفطنة، واصبح مثل آنو. واكدت تحولات الشخصية سيادة سلطة الالوهة الانثوية، التي قادت انكيدو مأسورة بها الى مدينة اوروك.

وقع نصح المرأة في لبه موقع الرضا ص ٨٨

واعلن إبتداء التحول الحضاري في حياته، والمعلن عنه في الملحمة بوضوح تام ثم شقت ثوبها شقين، البسته بواحد منهما واكتست بالثاني.

امسكت به من يده وقادته كما يقاد الطفل
اخذته الى كوخ الرعاة، الى موضع الحظائر
فتجمع الرعاة حوله ص٨٨

لقد اوجدت له السلطة القمرية، مساحة اوسع، هي الرقعة الاجتماعية المعلنة والمؤكدة على انسانيته واستعداده التآلف والتعايش مع المحيط ومركزه، لا الاكتفاء بالهامش منه.

ففتحت البغي فاها وخاطبت انكيدو
كل الطعام يا انكيدو فانها سنة الحياة
واشرب من الشراب القوي فهذه عادة البلاد ص٨٩



يتعلم الانسان في الديانة القمرية فنون الرقص، اكثر من معرفته للطقوس الدينية، لان الرقص لديه مرتبط حتماً ببعض طقوسه الدينية/ الاخصابية، الرقص مرتبط مثلاً بالخمر، ويجب تناوله قبل انتظام حلقة الرقص وابتداءه، لان الانسان في الرقص، يحرر جسده من المادي ويغرقه في تدفقات الروحي السابح، وسط ملكوت. اتسع امام ذات الانسان مع الخمر وفي هذا اتفاق مع القمرية.

ان الرقص اول طاقة حررت الجسد من اثقاله، ومنحته قدرته الخلاقة، على الحركة وجعل الجسد، مركزاً للانفجار والتدفق، بعدما كان سابحاً، او طافياً على هامش الحياة. الرقص المنفرد منفر، اذا كان وحده، ويتصف بالتفجر والتدفق واللامحدودية عندما يقترن مع الخمر. صار الرقص طقساً دينياً في الديانة الزراعية/ القمرية–الاخصابية، ونلاحظ ذلك مرافقاً طقوس السحر الذي تصاحبه اشكال وحركات رقصية، تدخل ضمن النشاط الموجه لحفظ الحياة وادامتها وتطويرها. وكانت تلك النشاطات –كما قال السواح– برعاية الام الكبرى التي تمده الى وكيلتهما على الارض. لان المرأة هي الساحرة الاولى وبسحرها كانت تمارس سيطرتها على الرجل وتعزز مكانتها ضمن الجماعة. وكانت[١٢] الخمرة جزء من ممارسة طقس يومي وخصوصاً في الديانة القمرية لانها قرينة المرأة بما تثيره في نفس المنتشي من حساسية عالية وسعي للاتصال والاندماج واياها فالخمرة مرتبطة ايضاً بالمرأة، لانها نتاج الديانة الزراعية. سكر ومخدر وموسيقى، تلك هي عادة الغيبوبة العشتارية التي تعبر بالمريد من جفاف الشمس الى نداوة القمر. كما قال فراس السواح تحقق كل شيء وصار انكيدو واحداً من البشر. لكنه اكثرهم فطنة، لانه حاز بعض الصفات الالهية .

---

(١٢) فراس السواح، لغز عشتار، سبق ذكره، ص٢٥٥–٢٥٦.



شكل-٣ الالهة عشتار

اخذ سلاحه وانطلق يطارد الاسود ليريح الرعاة في المساء
اصطاد الذئاب وقهر الاسود
فاستطاع الرعاة ان يهجعوا في الليل مطمئنين
صار انكيدو حارسهم وناصرهم
انه الرجل القوي والبطل الاوحد ص ٨٩

يقدم لنا هذا النص شهادة كشف للانتقال الاجتماعي المرتبط اساساً بالتحول الفكري، الذي قاد الى النتيجة المهمة التي ارتبطت واياها الانتقالات الفكرية الخطيرة.

لقد صار الاصدقاء اعداء [انكيدو+الحيوانات] وصار الاعداء اصدقاء [جلجامش +انكيدو] هذه الصيرورة والقبول بها تشمل ضمنياً وعياً للعوامل التي قادت اليها بحيث اقتنع بها و بالعمل عليها. فقد كانت العلاقة[١٣] بين انكيدو رجل البراري المتوحش والمرأة التي روضته، هي نموذج اسطوري لما تم بينهما بالفعل عند جذور التاريخ والممارسة الجنسية التي تمت بينهما والتي كشفت بصيرة «انكيدو» فجعلته حكيماً وعارفاً، وابعدت عنه رفاق الامس من الحيوان، لم تكن باللعبة الجنسية التي يمارسها الانسان كل يوم، بل كانت رمزاً للكدح الذي بذلته المرأة من اجل تعريض الرجل للعوامل التي كشفتها فيه وجذبته من دار الجوع والشبع المغلقة التي يشترك فيها مع الحيوان، الى دار الجمال المفتوحة على الابدية.

---

(١٣) فراس السواح، سبق ذكره، ص٢٤٠.





شكل – ٤ الاحتجاج على موت انكيدو


مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الثاني

وداعاً ايتها البرية

وصل الى البرية، رسول يدعو انكيدو وكاهنة الرغبات الى اوروك. ويبدو بان ايفاد الكاهنة الى الصحراء، كان من اجل تحقيق الجذب الانكيدوي. واشار الاستاذ (ساكز) الى ان سكان اوروك، عرفوا شخصية انكيدو لحظة وصوله اليها. وذلك لرؤية كاهنة الرغبات معه والتي ارسلت اليه لاقناعه.

رؤيتهم للكاهنة مع انكيدو، يعني ابتداء مرحلة جديدة بالنسبة للمدينة، حيث نشأت المبارزة بين الاثنين، جلجامش وانكيدو، الذي كان حركياً واكثر حرية لانه هو البادئ بالحركة ضد جلجامش

فرح الابطال وهللوا قائلين:-
لقد ظهر بطل ند وكفوء للبطل الجميل
اجل ظهر لجلجامش، الشبيه بالاله، نظيره ومثيله
ولما هيء الفراش لاشخارا
واقترب جلجامش ليتصل بالالهة مساء
وقف انكيدو بالدرب يسد الطريق بوجهه ص٢٩

دافع جلجامش عن نفسه ومركزه الديني، ضد القادم الجديد كما ذكر



الاستاذ «ساكز» وفي القراءة الدقيقة للنص، يتضح بان موقف جلجامش، لم يكن فقط دفاعاً عن مركزه الديني، وانما السياسي ايضاً. وهذا اكثر وضوحاً وتجسداً في مواقف جلجامش، مثل السفر الى غابة الارز، ومحاربة الشر في موطنه، ومصالحته مع أجا، حاكم كيش ، المعروف في النصوص الاسطورية الخمسة والمكتوبة عنه. وارى بان المركز الديني تعرض الى ما يشبه الخلخلة، بعد دخول انكيدو الى اوروك، وتعرضه لجلجامش، بعد تهيئة مراسيم الطقوس الخاصة بالاتصال المقدس، مع الالهة اشخارا، والتي هي من «الهات الحب وشكل من اشكال عشتار التي هي سيدة الدافع الجنسي وكانت كاهناتها يحملن نفس اللقب»(١٤).

ويتضمن المشهد الشعائر الدينية الخاصة بالزواج المقدس، الذي كان يمارس في العراق القديم رمزاً لاتصال الملك بالالهة. وكانت الكاهنة تقوم بدور الالهة في الاتصال الجنسي مع الملك لاحلال الخصب والرخاء في البلاد. ولما كان جلجامش يتهيأ للقيام بهذه الشعائر، صادف مجيء انكيدو، فتصدى له وسنعه من دخول المعبد(١٥). وتعطيله لطقس الزواج المقدس وهو خلخلة للسياق الديني المعروف بانتظامه وتواتره. لذا كان دخول انكيدو الى اوروك متوقعاً للجميع، وحتى الملك، لان جلجامش عرف بوجود شخص قوي في البراري.

يابني! يعيش في اوروك جلجامش
الذي لامثيل له في البأس والقوة
وهو في شدة بأسه مثل عزم آنو

---

(١٤) نوح كريمر، ... سبق ذكره، ص١٢٣.
(١٥) طه باقر... ملحمة جلجامش .. ص٩٢.



فاذهب الى اوروك، وول وجهك شطرها
وانبئ جلجامش عن بأس هذا الرجل
وليعطيك بغياً مومساً تصحبها معك ايها الصياد ص ٨١

ثم عاد الى بيته بالصيد الذي قنصه. كان شارد الفكر، متغير الوجه كمن قام برحلة طويلة. تكلم مع ابيه:

ابي، هناك انسان لانظير له، انه اقوى ما في الدنيا، انه يشبه
احد الخالدين في السماء

وواضح لنا بان والد الصياد، رسم وصمم ونفذ اهم الادوار واكثرها خطورة، ولعل اهمها اقتراح الكاهنة كمروضة لانكيدو

وليعطيك بغياً مقدساً تصحبك معها ايها الصياد
دعها تسيطر عليه وتروضه
وحينما يأتي ليستقي مع الحيوان مورد الماء
دعها تخلع ثيابها وتكشف عن عورتها ومفاتن جسمها
فحالما يراها فانه سيقترب منها وينجذب اليها
وعندئذ ستنكره حيواناته التي ربيت معه في البرية ص ٨١

اشار «ساكز» الى ان جيمس فريزر وصف بدقة الكاهن في الغابة المقدسة، متجولاً والسيف بيده ومنتظراً الغريم الذي سيقتله عاجلاً ام آجلاً ويعقبه في الكهنوتية، كما حصل هو نفسه على تلك الوظيفة بقتل سلفه. واشارة الاستاذ «ساكز» لوصف فريزر للكاهن، فيها دقة وكشف



لما يعنيه، متماثلاً مع بنية الصراع الموجود بين جلجامش وانكيدو، الند الذي كان غائباً، وحضر بشكل مفاجئ وسط مدينة اوروك. وتفجر الصراع بينهما، ولم يستطع جلجامش الانتصار على خصمه، فعقد صداقة متينة معه. لكن تلك الصداقة حرمت جلجامش من مزاولة طقوس الادخال المقدسة، وعطلتها تماماً. حيث لم ترد اشارة في النص، وتعطلت الى الابد اغتصابات الملك للفتيات بعد دخول الطرف التعادلي للصراع، على الرغم من ان الاله «انليل» السلطة التنفيذية في مجلس الالهة هو الضمانة الاكيدة له في الحياة. لان «انليل» اكثر تدخلاً بالاحداث الارضية. وملوك الارض، ليسوا غير وكلاء «انليل» او كهنته ويكفي لرفعهم فوق مستوى البشر الاخرين ان ينطق الاله باسمهم.

ان الفحص المتنوع لمستويات النص الملحمي، يساعدنا على تأويل شخصية انكيدو، ارتباطاً مع المفاهيم التي اشرناها قبلاً. لان انكيدو وبالرغم من وضوحاته، سيظل رمزاً ولغزاً يطفو فوق سطح من التنوع والتأويل. ونظراً لارتباط هذه الشخصية مع اوروك والطبقات المعروفة في المدينة، سيكون التأويل متسعاً ومستعيناً بقرائن مساعدة على اثبات او تقريب اللعنة التي نزلت عليه وتقرر اغتياله.

١- ان وجود قوتين متكافئتين في اوروك لايمكن ان يوفر جواً موضوعياً وذاتياً لحياة هادئة ومستقرة الى الابد. لان قوة الردع الوافدة "انكيدو" لابد وان تظل محتفظة بشروطها التي من اجلها تكونت، حتى يتفجر الصراع بين القوتين في يوم ما، على الرغم من العلاقة الصداقية بين الاثنين.

كان تخليق انكيدو محاولة لايجاد قوة قادرة على تسريب وامتصاص قوة جلجامش، او لامتصاص فائض طاقته، وتوجيهها الى الطريق القويم، كما قال «دياكونوف». ان وجود «انكيدو» لايوفر جواً



موضوعياً لتطوير سلطة اللاهوت الشعبي+الناسوت. لذا تطلب تصفية احدهما وكان الاختيار معروفاً، على الرغم من ان سكان اوروك شكوا الى الالهة، من ان جلجامش بسبب فائق قوته يضغط عليهم، كما قال دياكونوف.

٢- اشتغلت السلطة السياسية عبر منتجها والصوت الناقل، والمعبر عنها، على اذلال انكيدو وقهره، وذلك من خلال وصفه بالخادم- كما في احد الاساطير السومرية- وعلى الرغم من سعي الكهنة - الذين انتجوا النصوص- متمثلاً ذلك في ارساله الى «أجا» حاكم كيش مفاوضاً، ومحاوراً له، نيابة عن الملك جلجامش. ورأى بان قصدية الاذلال ناتجة عن كون انكيدو، رجل بري وصحراوي، وظلت النظرة له متدنية، وتعاملت معه بشيء من الدونية والتحقير. وكانت الشعوب الجزرية، اكثر تعاطفاً مع شخصية «انكيدو» لانهم يتماثلون معه في النزوح من الصحراء وباتجاه الحضارة المدنية. الا ان جذبهم كان جمعياً واعتقد بانها -الشعوب الجزرية- وجدت في «انكيدو» تماثلاً وتشابهاً، لذا مارست عملية التنقية للمترسبات السومرية في فصول من الملحمة، عندما كانت مرويات شفاهية. لذا خلصته من صفة العبودية، وصاغته نداً للملك ومساعداً له، ولايستطيع انجاز مهمة ما بدونه. كما ان[١٦] ملحمة جلجامش تصور الكثير من اوجه الفكر العراقي. فقد يعكس صراع جلجامش وانكيدو صراعاً بين الحضارة والبداوة والتي قد تكشف عنها تغلغل العناصر الجزرية من الغرب ومعارضة السومريين لهم بادئ الامر، ثم امتزاجهم في ذلك المجتمع.

---

(١٦) د. سامي سعيد الاحمد، جلجامش ، دار الشؤون الثقافية، ص٩١-٩٢.



ولانه شكل -بدخوله اوروك- قوة ساهمت بتقليص مساحة الكهنة، كطبقة من خلال الغاء طقوس الادخال مثلاً، ودفعهم الى خطوط ثانوية في الحياة والدولة، بعدما حاز انكيدو على دورهم في تفسير وتأويل الاحلام. لذا يبدو الانحياز واضحاً -من قبل منتجي النصوص- باتجاه الملك جلجامش، الذي كان مركزاً فيها، ولم يتعد دور انكيدو في النص اكثر من ان يكون دوراً هامشياً. لكن الموقف الفكري الاكدي اكثر وضوحاً في تعامله مع انكيدو. وذلك من خلال تنقية الاساطير من العلامات، التي فيها اساءة واضحة لشخصية انكيدو.

كنا قد توصلنا الى ان تخليق «انكيدو» واتصاله الشهوي والمعرفي، قد حصلا معاً في موقف قمري وتحديداً في الليل. وهذا يعني لنا ضمن مسار النظام المعرفي انذاك. بان سلطة الالوهة الانثوية استطاعت صياغة شخصية انكيدو صياغة قمرية، بمعنى زودته بآلية الثقافة التي انتجتها السلطة القمرية. وبذا استطاعت ان تجد لها نصيراً، في صراعها مع السلطة الشمسية: الذكرية، الممثل لها بطريريكياً بالملك جلجامش ومؤسساته الدينية/ السياسية/ الاجتماعية/ الاقتصادية، ومع هذه الملامح الشمسية لم يكن جلجامش متقاطعاً مع السلطة القمرية، لانه كان في اللحظة التي دخل «انكيدو» الى اوروك، ينفذ فيها طقس الادخال المقدس. لكننا نفاجئ بانكيدو القمري يدخل بصراع مقدس مع طقس قمري، يؤديه ممارسة فعلية الملك جلجامش عند عتبة المعبد. وكان انكيدو هو المعطل له تماماً. وهنا يكشف لنا النص الملحمي عن حصول قطيعة حسب مفهوم فوكو الفلسفي. لان مسار الصراع اتخذ طابعاً جديداً ومختلفاً بالكامل. ولم يكن الصراع محكوماً بتراتبية فكرية وتاريخية مهيمنة عليه. بل حصل القطع الذي اشرنا اليه والذي هيمن كلياً على مسار الاحداث والصراعات التي شهدتها الملحمة باعتبارها مدونة عن صراع بين سلطتين هما القمرية



والشمسية. وكل الذي حصل في النص هو تطوير للكيفية التي استمر بها الصراع، وتحول «انكيدو» وجلجامش الى علامة شمسية. بعدما كان جلجامش قمرياً في اسطورة «انانا. جلجامش وشجرة الخالوب» وفي ابتداء الملحمة، كذلك «أنكيدو» مثلما اشرنا الى ذلك.

يلاحظ بان الملك جلجامش قد تمركز من اجل ازاحة السلطة القمرية تماماً عن ادوارها الحياتية والكونية. ولكنها مع هزيمتها -التي سنشير لها لاحقاً- لم تتخل عن سلطتها، حيث ظلت تتبدى في بعض المساهمات الثقافية وتعاود -كما سنرى- ظهورها الفكري الفعال وتلعب دوراً حياتياً، ومن ثم تخمد مرة اخرى، لتؤكد السلطة البطرياركية وتمركزها في حضارة اوروك.

ان الموقف تجاه «أنكيدو» لم يكن موقفاً خارجياً او هامشياً بل هو تعبير واضح وحقيقي، عن البنية الفكرية المستحكمة، والفاعلة، والكاشفة عن طبيعة ونوعية الصراع الكامن انذاك، وان لم يطفح فوق السطح، بل ظل كامناً في الاعماق. واشتغلت على انضاجه الكثير من الفواعل السياسية والدينية والاجتماعية، وظل واضحاً للقارئ ملاحقة «أنكيدو» واستهدافه من خلال عدد من الاعمال والممارسات، التي دفعت به الى الواجهة، وفي عمق الاحداث الصعبة والخطيرة، لا حباً به، وانما حقداً دفيناً عليه. وتمثل ذلك في:

١- بقاء شخصية "أنكيدو" للمهام الصعبة والخطيرة في آن، بما فيها الموت متجسداً ذلك في ارساله حاملاً رسالة جلجامش الى "أجا" حاكم كيش، ومفاوضاً له حول الحرب. وكان بديلاً عن شيوخ اوروك، وممثلي المؤسسات الاوركية وقادتها. وواضح بان مهمة الايفاد ليست سهلة ويسيرة، بل هي كاشفة وبوضوح عن



الاهمية الكبيرة التي كان يتمتع بها لدى جلجامش. وثقته العالية به، وقدراته على تحقيق انتصار، ولو بشكل بسيط يحسب لصالح الملك. ولقد تحقق فعلاً انتصار "أنكيدو" في المهمة وتخلص من احتمالات الموت قتلاً.

٢- المهام الصعبة، مجال انتقاء التماثلات الاشد تبايناً[١٧] وهذا يساعدنا على الاستمرار في البحث عن المهام الصعبة والمتماثلة في اسبابها ودوافعها، وخصوصاً تلك التي اوكلت «لأنكيدو» والسبب كما اشرنا لذلك هو الموقف العدواني ضده، والحقد على الانسان البري، الوافد الجديد، وسنلاحظ تماثلاً في كل ماقام به البطل «أنكيدو».

٣- كان للتخليق سبب واحد وجوهري، هو ان يكون قوة توازن، او يشكل بنية صراع انكيدو/جلجامش، كي تظل اوروك آمنة بسلامها. لكنه في اللحظات الاخيرة حقق هذه الغاية، واخرى تمركزت حول تهيمش الالوهة الانثوية. وكان ممكناً ان يموت او يتعطل في واحد من تلك الصراعات.

٤- بعد نجاحهما في اقتحام غابة الارز [والتمكن من الرموز القمرية، وشجر الارز، وقتل خمبابا] وعودتهما الى مدينة اوروك، وبسبب الطريقة التي تحدث فيها جلجامش مع الالهة عشتار. طلبت من الاله آنو إنزال ثورها السماوي السحري [هو واحد من العلامات التي تشير الى الالوهة الانثوية/القمرية] لينتقم من اوروك، لان ملكها اهانها وقرعها.

---

(١٧) فلاديمير بروب، مورفولوجية الخرافة، ترجمة: ابراهيم الخطيب، الشركة العربية للناشرين العرب، ص٧٢.



إخلق لي يا ابت ثوراً سماوياً
ليغلب جلجامش ويهلكه
واذا لم تعطني الثور السماوي
فلأحطمن ابواب العالم الاسفل
واجعل اعاليها اسافلها
وادع الموتى يقومون فيأكلون الاحياء ص١١٣

كان الهدف الاساس وراء طلب عشتار من آنو لانزال الثور السماوي، هو قتل جلجامش، العائد مزهواً بالانتصارات البطرياركية، التي حققها في سفرته الى غابة الارز، والتي كانت مكللة بالنجاح والظفر.

ولم يكتف بالزهو والانتصار، بل وجه اقسى الكلمات الى عشتار التي ركض الى نجدتها في اسطورة «انانا جلجامش وشجرة الخالوب» اما في الملحمة فان الصراع الفكري قد اتخذ مساراً جديداً ومغايراً، لكن الرجولة المتمركزة حول فحولتها، استطاعت الانتصار على آخر المتوازيات الرمزية للالهة الام، وقتل الثور السماوي. وكان من الممكن ان يقتل «انكيدو» في هذا الحادث.

وتكاد تكون المهام الموكولة لانكيدو في الاساطير الاخرى [١-موت جلجامش ٢-جلجامش واجا ٣- جلجامش وارض الاحياء ٤-انانا جلجامش وشجرة الخالوب] متماثلة، وتنطوي على نوايا عدوانية ضده. وكان انكيدو فيها وظل مستسلماً للاوامر، وساعياً لتطبيقها، وغير قادر على الرد او التحفظ.

٥- كان انكيدو مبعوثاً الى العالم الاسفل في اللوح الثاني عشر من الملحمة واكد علماء الاشوريات والسومريات، على ان هذا اللوح



لم يكن امتداداً للملحمة، وانما منقول عن نموذجه السومري.

واكد "سبايزر" ان هذا اللوح لايعود الى الملحمة.

كان نزوله الى العالم الاسفل عذاباً جسدياً وروحياً ونفسياً. لانه رأى وعانى وعاش ما لم يقدر عليه احد غيره، وكان نزوله الى العالم الاسفل من اجل ايضاح ما لم يعرفه جلجامش من معلومات واهم ما في اللوح، اكتشاف انكيدو لمعاناة الرجل الذي لم يكن له امتداد نسلي وحياتي، لتأكيد ثيمة رافدينيه مهمة، وهي احترام الحياة والعمل على اخصابها وادامتها من اجل تطويرها، واعتبار ذلك من اهم العناصر الفكرية التي ساهمت في تشكيل البنية الفكرية، وتكوين الملمح الحضاري، وهو الانجاب وضرورته من اجل بقاء الحياة. وكلنا نعرف بان «أنكيدو» لم تكن له علاقة اتصال مع امرأة بعد دخوله الى اوروك. وما رآه في العالم الاسفل، شكل كارثة حقيقية.

هل رأيت الذي لا ولد له؟
اجل رأيته وطعامه من التراب والطين
هل رأيت الذي خلف ورائه ابناً واحداً؟
اجل رأيته وهو اسفل الجدار ويبكي بكاء مراً
والذي خلف ابنين هل رأيت؟
اجل لقد رأيته انه يضطجع في بناء من الآجر ويأكل الخبز
والذي له ثلاثة ابناء؟
اجل رأيت انه يسقي الماء من زقاق ماء العمق؟
والذي له اربعة ابناء هل رأيت؟
اجل شاهدته وهي فرح القلب
وهل رأيت الذي خلف خمسة ابناء؟



نعم رأيته وهو كالكاتب السعيد ويده مبسوطة
ويسمح له بدخول القصر   ص١٧٥-١٧٦

لقد اشار الاستاذ طه باقر الى ان كثرة الاولاد مدعاة لرفاه الميت.. وان منشأ هذه القاعدة اضطلاع ذرية الميت بتقديم القرابين اليه، كان هذا من الاسس المهمة في راحة الميت في عالم الاموات. لكن لنا في هذا تأويل جديد، وهو تأكيد الفكر العراقي القديم على اهمية الخصوبة في الحياة وضرورة الانبعاث فيها. والاولاد -كما في النص- يفتحون نوافذ جديدة للاتصال اليومي والامتداد الطبيعي النسلي. وهذا اهم مايميز الفكر العراقي القديم، وانسحب ايضاً الى حضارات اخرى في الشرق الادنى.

ان الحضارات القديمة[١٨] شددت على الجنس ورموز الجنس، في كل علاقة للانسان مع المطلق، فلأن الجنس ذاته حين العودة به، الى جوهره، هو علاقة كونية مستمرة تتبدى في استمرارية الحياة. وتخطي الكائن الفرد به كما تتبدى بقدرته استيعاب شوق الانسان وحنينه وقلقه وجميع المشاعر الغامضة والبواعث التي تنتابه. ولان الفكر العراقي القديم قد اولى اهتمامه الخاص بالجنس ودخول المرأة متمثلة برمز الام الكبرى، باعتبارها سلطة دينية، لا بل اصل الدين في كل ديانات الشرق، قد نتج عن ذلك موقفه المهم المتمثل بالخصب والانبعاث، الذي ارتكزت عليه الديانة العراقية وكان الجنس/المرأة قوة ديناميكية، دافعة لتطوير الحياة واستمرارها وليس للاستهلاك فقط. وانتبه لذلك د. يوسف حوراني في اسئلة جلجامش لانكيدو عند ذهابه للعالم الاسفل، مؤكداً على ماذهبنا

---

(١٨) د. يوسف حوراني، البنية الذهنية والحضارية للشرق المتوسطي الاسيوي القديم، دار النهار للنشر، بيروت، ص٢٤٥.



اليه من تحليل وقال: عندما شاء الانسان القديم تخيل آلهة للشر كانت ابرز صفة افترض وجودها فيهم هي حرمان هؤلاء الآلهة من صفة الخصب، حيث عين لهم الصحارى والكهوف والامكنة المهجورة ووصفهم بأن ليس لهم نساء واولاد او حتى جنس

ليسوا ذكوراً وليسوا اناثاً[١٩]
هم رياح تعصف
ليس لهم نساء
ولاينجبون الاطفال
لايعرفون كيف يظهرون الرأفة ولايستمعون للصلاة والتوسل

وكان في العقائد[٢٠] الكنعانية، شرط اكتمال الرجل المسؤول هو قدرته على التناسل. ففي ملحمة «البعل وعناة» الاوغاريتية نجد في الترنيمة انتصار «بعل» تشديداً على كون الالهة «عناة» ستلد للبطل عجلاً، ثوراً برياً: بحيث يكون خاتمة وتحقق في الجنس والنسل.

وواضح بان للجنس صفة قدسية اضفاها عليه المعتقد الديني المرتبط مع الجنس ارتباطاً وثيقاً لانه يحتوي على مايمكن ان يكون نظاماً متراتباً او تبادلياً وبشكل منتظم يعكس طبيعة الحياة وانتظامها ويبدو ان امتحان قوة الخصب والجنس في داود العبراني تمثل طقساً كنعانياً من خلال ارتباط النظام السياسي/الديني بالجنس كطاقة خلاقة. يتم من خلالها التأكيد على استمرار القدرة السيادية لدى الملك والقدرة على ممارسة الجنس في

---

(١٩) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٤٦.
(٢٠) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٤٦.



آن. فقد احضروا فتاة لداود ليمتحنوا قواه الجنسية، بعدما هرم وشاخ، ولما فشل في الاتصال الشهوي، ثار عليه ابنه مطالباً بالسلطة. كما نجد الملك «كارت» في ملاحم اوغاريت يهجم على مدينة بعيدة ليحصل على زوجة يثبت بها رجولته، وعندما يضعف ينقلب ابنه [يصب] ضده مذكراً اياه بأنه لم يعد مؤهلاً للقيام بواجب الملك وحماية اليتيم والارملة(٢١) والنماذج التوراتية كثيرة جداً وهي منتحلة من حضارة العراق القديم وبلاد كنعان.

ان الجنس يمثل وجهاً اكثر تقدماً ونشاطاً من الغرض الاستهلاكي، أي ان وظيفته الحياتية الاخصابية هي المرتبة العالية التي لايمكن لقوانين الحياة ان تكون بدونه. لانه اضحى من الطبيعي ان يكون الخصب(٢٢) والجنس وجهاً آخر للخصب الاقتصادي الزراعي. اذ ان مجتمعاً يمارس فيه الماء، والشمس والارض دوراً اقتصادياً مباشراً، لابد وان يتعرض لتصوري الخصب والعقم [القحط] واذا ما كان للعلاقة الجنسية البشرية حضور عميق ومباشر في الحياة الاجتماعية، فأنها تسقط على العلاقات الانسانية الاخرى [الاقتصادية، الزراعية] اسقاطاً تمثيلياً يتحول الى فعل اقتصادي زراعي. بيد ان ذلك القول الاخير لابد وان يثير تحفظاً ذا اهمية خاصة على هذا الصعيد، من حيث تقسيم العمل، والفعالية الانتاجية الزراعية والتنظيم الحسابي الفلكي الرفيع الدقيق لهذه الفعالية، وظهور اشكال بسيطة اولية للتجارة الداخلية السلعية، ناهيك عن الخارجية، مع

---

(٢١) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٤٦.

(٢٢) د. طيب تيزيني، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي منذ بدايته حتى المرحلة المعاصرة في (١٢) جزءاً، الفكر العربي في بواكيره وآفاقه الاولى، المجلد الثاني، دار دمشق، ١٩٨٢، ص٣٣٣.



ذلك كله كان على تلك العلاقة التضايفية بين الجنسين والاقتصاد ان يعاد بناؤها. ويلعب الالهة دوراً مهماً في موضوعة الخصب، من خلال الجنس الطبيعي والعلاقة بين الفصول الاربعة والتداخل فيما بينهما وبما[٢٣] ان الخصب مقترن بالفعل الالهي وان هذا مقترن بالملك، فقد ظهر كل احتفال سنوي اقامه الناس على انه عملية من شأنها ان تقود الى تقوية رابطة الانسجام بين الطبيعة والمجتمع في شخص الحاكم «ان جدلية الزمان والحركة تتضح هنا بوصفها عملية عودة دائمة الى الحلقات النموذجية الكبرى في البناء الطبيعي الجغرافي» «الاجتماعي» فانما تلك الجدلية عودة دائرية التوجه الى هذه الحلقات الممثلة بالصيف والخريف والشتاء والربيع، مع الاشارة الى ان الربيع يمثل الهدف الاقصى من الحلقة القصوى المستهدفة.

يشكل اختيار «أنكيدو» للموت بنية فكرية مركزية وحيوية في نص ملحمة جلجامش، لانها تلقي بظلالها على البنى الاخرى. ولولاها لما تفجرت بنى أخرى، اكثر خطورة في كشفها لمستويات من التفكير الفلسفي العراقي القديم، وبنية اغتيال «أنكيدو» ذات مستويات متعددة، ومتنوعة في الفحص والقراءة والتأويل، لانها متشابكة مع شعيرات فكرية ودينية في النص. وتوفر فرصاً اكبر للتحليل، واضاءة جوانب مهمة، في هذه البنية وعلاقتها الداخلية الاخرى. لذا فهي بالنسبة لي -على الاقل- مركز مشع في النص ومتوهج، ويضيء بقوته مساحات واسعة من النص. ويكشف مرحلة لا بل مراحل انتاجه المختلفة، والاستلامات الجديدة، والاضافات الحاصلة والالغاء المطلوب بتأثيرات المتغير المرحلي. لذا أرى بان بنية اختيار «أنكيدو» للاغتيال، والصراعات التي حصلت، والنتائج

---

(٢٣) د. طيب تيزيني، سبق ذكره، ص ٣٢٠.



التي ستظهر، تتطلب ترسيم توصيف موجز ومركز لمجلس الالهة الذي صدر عنه القرار، او هكذا ظهر لنا من خلال القراءة. وذلك من اجل معرفة عناصر كل اله مع وظائفه، وهل حصل تجاوز على ذلك ام لا؟ حتى تتضح امامنا صورة التفريط المتعمد بـ «أنكيدو» والتخلص منه، بعد ما توسلت اوروك.... من خلال سكانها.. بتخليق رجل يقف نداً للملك المستبد، وانقاذها من بطشه وجبروته، هذه الشكوى تحولت نواة استهلالية للنص الملحمي وان لم ترد الاشارة لمجلس الآلهة صراحة. مثلما حصل بعد عودة الاثنين من سفرتهما الى غابة الارز فرحين بانتصارهما على موطن الشر/خمبابا والتمكن من العلامات العشتارية [الافعى اشجار الارز] واعتقد بان مجلس الآلهة والمرتكز الحيوي والفعال للملحمة، لانه مبتدأ العمل واستهلاله الحيوي، وهو الذي سلط ضوءاً على حياة الاثنين بعد عودتهما، مثلما ساهم بكشف نوعية العلاقات وطبيعتها بين الالهة في مجلسهم واي محاولة لفحص الملحمة فحصاً تأويلياً يتطلب، تقديم صورة بانورامية عن العناصر الفكرية للآلهة ووظائفها المتنوعة والمتباينة والمختلفة، خلال المراحل التي عرفها الفكر العراقي القديم. لان اختلاف المراحل، يعني في اول مايعني اختلافاً في الوظائف والمهام، او تداخلاً فيما بينها، حتى ولو كان بسيطاً.

ان التباين في المراحل، يصنع شرطه وينعكس على البنية الذهنية والحضارية. لذا فأن وظائف الالهة، وخصوصاً الالهة ذات المركز المهم والحيوي غالباً ما تكون متنوعة، وخاضعة للاختلاف بين فترة واخرى. لكن المراحل اللاحقة لاتشطب ماسبق ولاتلغيه، بل تتجاوب واياه محاولة التمثل والاستفادة منها، استفادة واضحة، لان الاسطورة



الواحدة تتنوع[٢٤] بتنوع الزمان والمكان، وبانتقالها من مكان الى آخر ومن زمان الى زمان، يضيف عليها ناقلوها او يحذفون منها او يغيرون من تسلسل احداثها. ولكنها من حيث الجوهر تبقى واحدة لانها في الاصل تعبير عن دوافع دفينة وحاجات نفسية وعقلية واحدة. وهذا ما ظهر جلياً بادوار الالهة ووظائفها وخصوصاً بين حضارتين متداخلتين هما السومرية والاكدية [الاشورية/البابلية] فالحضارة اللاحقة حاولت الايحاء بالمتغيرات الجذرية من خلال الاسماء فقط وان حافظت على بعضها عند الترحيل، لكنها احتفظت بالخصائص الذاتية وطورتها[٢٥]. وهذا مايتجسد لنا بوضوح في مجلس الالهة الذي كان قضائياً في النص، ومعبراً عن احتمالات الاتفاق وسيادة الحوار والمناقشة، والاختلاف والتباين، لكن النتائج اشارت بغير ذلك. وكان للمجلس دوره في بنية العمل الفني والفكري ايضاً. وشكل عاملاً في تفعيل النص وتطويره. وتبلورت له اهمية استثنائية. ولانه ساهم بحصول الذي عمق احساسنا بالمأساة والخسران، وهو كذلك وفر لنا فرصة واسعة للتأويل ومناقشة قرار الالهة والخاص باختيار من الذي سيموت من بين الاثنين؟ وحتى يكون تأويلنا واضحاً ومشفوعاً بما يسنده ويبرزه، سنقترح توصيفاً للآلهة المكونة للمجلس وتلك التي حضرت الاجتماع والاخرى التي غابت عنه، حتى يكون الرأي الخاص باغتيال «انكيدو» واضحاً. مثلما يسلط الضوء على حضورها، وهل مارست وظائفها المتطابقة مع العناصر المكونة لها ؟. وهل كان للقرار الحاسم تأثيره الواضح على العلاقات

---

(٢٤) فراس السواح، مغامرة العقل الاولى، بيروت، دار الكلمة، ص٢٠٨.

(٢٥) للاطلاع أكثر على نموذج التحول في الأسطورة يراجع: ناجح المعموري، تقشير الاسطورة، أنانا. كلكامش وشجرة الخالوب. دار المدى، دمشق ٢٠١٢.



الالهية؟ وهل كانت متطابقة بين عناصرها ووظائفها؟ ام كان لبعضها تأثير على كمون العناصر وانطفاء الوظائف؟

وساقدم توصيفاً للآلهة التي شاركت بمناقشة قرار اغتيال «أنكيدو». وتلك التي تخلفت عن حضور الاجتماع واسباب ذلك التخلف والغياب. الآلهة التي حضرت الاجتماع هي:

١- آنو
٢- انليل
٣- شمش
٤- أيا

آنو[٢٦]: هو ابن انشار وكيشار، ويعني اسمه السماء وحاكم السماوات، حيث سكن في اعلى منطقة منها. وكان الرب الاعلى يدعوه المعبودون جميعاً: الرب، كما حدث في الطوفان مثلاً. ويقصدونه اذا ما ارادوا ان يبثوا شكاتهم فعندما اعرض البطل جلجامش عن الربة عشتار، ذهبت تطالب آنو وكان يحيل كل القضايا الهامة الى محكمته. فعندما كسر «ادابا» اجنحة ريح الجنوب امره «آنو» ان يمثل بين يديه. لانه حاز على القوة والعدالة، وهما علامتا الملك، وامام العرش العالي الذي يستوي عليه، يوجد شعار الملك:

الصولجان والاكليل والتاج وعصا القيادة.

ويظهر «آنو» بعصابة على رأسه وهو على العرش: وكان لديه جيش تحت امرته: النجوم التي خلقها ليدمر بها الاشرار، والتي كانت تدعى

---

(٢٦) سعدي يوسف، الميثولوجيا الاشورية البابلية، مجلة الاقلام، ٢، ١٩٧٢.



«جنود آنو» على الرغم من انه ظل شامل التقديس، الا ان الآلهة الاخرى استحوذت على عناصر له لكن منزلته ظلت قوية، بحيث ان اولئك الآلهة لم يستطيعوا تثبيت انفسهم، الا بتسمية انفسهم اخيراً «آنو».

أنليل[٢٧]: اله الهواء والزوبعة في سومر وسلاحه (الامازو) أي الطوفان وهو يرمز الى قوى الطبيعة مثل زيوس الاغريقي. سيد مصائر البشر. وهو الاله الثاني في الثالوث المقدس. وكانت له علامة الملك، وهو الذي يهبها لمن يشاء ويختار. واجاز لنفسه معظم ماكان لآنو من هيبة وسلطان.

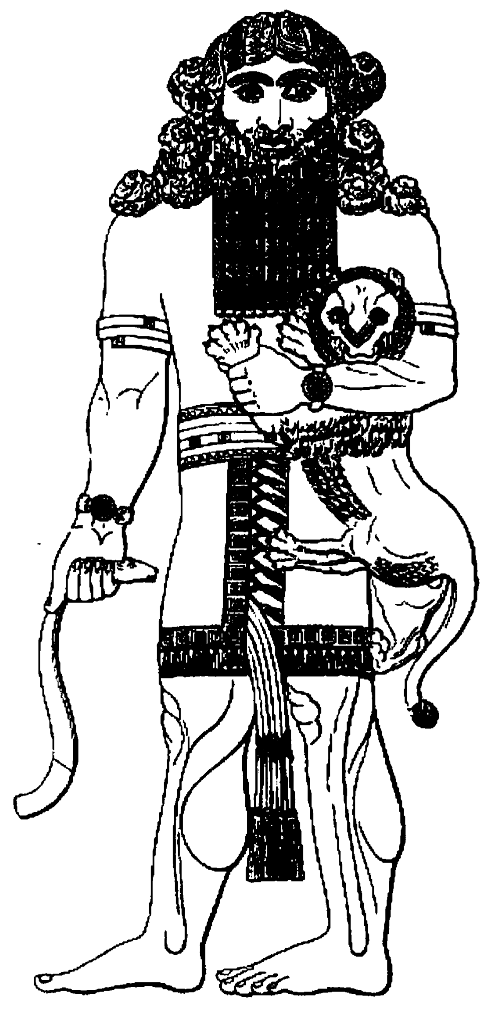
أيا[٢٨]: يعني اسم هذا الاله «منزل الماء» ووحده كاف للكشف عن صفته ومنطقة نفوذه وطبيعتها. واسمه في سومر «انكي» سيد الارض . ولانه اله الابسو، كان يتحلى بالحكمة السامية. وظلت حكمته فاعلة يقظة، ويصحح بها اخطاء الالهة انفسهم. فعندما قرر الاله «انليل» ان يغرق الجنس البشري بالطوفان، كان هو الذي حذر «اوتو-نبشتم» ومنع ابادة البشر. هو وشمش يمثلان المعرفة، وينطقان بالنبوءة ويستحضران في التعزيمات -لكنه- كان يشرف على اعمال البشر. وينظر له في بعض الاحيان الخالق للبشر من الطين. وكان مقامه الارضي في اريدو المقدسة، والتي تقع في

---

(٢٧) ناجح المعموري، اساطير الالهه في وادي الرافدين، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٦.

(٢٨) ناجح المعموري، اساطير الالهه في وادي الرافدين، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦، ص٢٢





شكل-٥ جلجامش نحت بارز على جدار قصر سرجون الثاني الاشوري



الطرف الجنوبي لبلاد سومر على الخليج العربي، وهي اول مدينة نهضت من المياه واطلق اسمه على احد الدروب السماوية الثلاثة التي اكتشفها علماء الفلك والرياضيات البابليون في مطلع القرن الثاني ق.م، وهي التي تتعلق بالمسافات الواقعة بين النجوم الثابتة ومواقع الكواكب فيما بينها. ودرب «أيا» هو برج الجدي.

شمش[٢٩]: ما يميز شمش هو الحيوية والشجاعة. وقد انتصر على الليل لكنه يواصل مسيرته تحت الارض ليبلغ جبل الشرق قبل الفجر. وارغم الشتاء على الهرب. وهو اله العدالة ويلاحق بنوره الظلال والظلام، وحيث تنتشر الجريمة لقب بقاض السموات والارض وقاضي الانوناكي الجليل وسيد القضاء ويسمى معبده في بابل بمنزل قاضي العالم، حيث كان يظهر بدور القاضي والجالس فوق العرش، حاملاً بيده الصولجان والخاتم، وهو ايضاً اله العرافة، وانجب من زوجته «أيا» ولدان هما «كيتو العدالة» و «ايشاور القانون». لذا اوصى لحمورابي بشريعته واسمه في السومرية «اوتو» وهو ابن القمر «سين» وحفيد «انليل» انه يعلن كل شيء ويرى كل شيء يلوذ به البشر الفانون المسهدون، وتصف اناشيد نينوى خصال شمش الكثيرة

«ان كل البشر يبتهجون لك يا شمش والعالم يهفو الى ضياءك

واياك يدعو الانسان الضعيف في صوت خائر»

---

(٢٩) ناجح المعموري، اساطير الالهه في وادي الرافدين، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٠٧



وأخيراً فهو اله الوحي والنبوءات.

اما الالهة التي تخلفت عن حضور الاجتماع فهي:

١- اوررو

٢- عشتار

اوررو [٣٠]: الارض الام لدى البابليين. انبثق عنها كل ماهو حي ، بشر ونبت وحيوان، وهي النموذج الذي نتج عنه-فيما بعد- كل تكرار لفعل الامومة. فانجاب الاطفال وتوالد البنات، امور هي في جوهرها تقليد لفعل الانجاب الاول، الذي قامت به الام الكبرى. اسمها السومري «كي» ولها اسماء كثيرة «ننماخ» «ننتو» «مامي» ولدى الكنعانيين «عشيرة» زوجة «ايل» اله السماء ولدى الحيثيين «سيبل» على الرغم من ان الارض في البداية هي زوجة السماء فانها تصير زوجة للماء «انكي» لاحقاً وعن اتحادهما يحيا النبات والانسان. وهي التي قامت بتخليق «انكيدو» بعدما طلب منها ذلك الاله «آنو» .

عشتار [٣١]: ابنة سين وابنه «آنو» وجسدت الاختلاف في الديانة العراقية خلال المرحلة السومرية وكذلك الاكدية. تسمي نفسها ربة الصباح وربة المساء، وهي التجسيد الالهي لكوكب الزهرة. بينما جعلها الاكديون ربة. وجعلها العرب ربة باسم «اشتر» انها

---

(٣٠) ناجح المعموري، اساطير الالهه في وادي الرافدين، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٠٧

(٣١) ناجح المعموري، اساطير الالهه في وادي الرافدين، دار المدى، دمشق، ٢٠٠٦، ص٦١



ربة الحرب عندما تكون ابنة الاله سين وهي اخت الاله شمش، تخرج في الحملات وتشترك في المعارك مكسوة بالهول، واقفة على مركبة تجرها سبعة اسود، حاملة قوساً وعلى الرغم من غرامياتها وممارستها الجنسية، فان لقب العذراء لم يفارقها ابداً. وهي اخت «أير شكيكال» ملكة العالم الاسفل، كما هي نجمة النواح التي تجعل الاشقاء الاصفياء يتخاصمون والاصدقاء ينسون صداقتهم.

اما في الوركاء فهي ابنة «آنو» ربة الحب والشهوة. لكنها احياناً عنيفة ودورها في ملحمة جلجامش معروف. واشار كريمر الى انها تقطع ذكورات الرجال. كان البغاء المقدس يؤلف جزءاً من عيادة شخصها. فعندما تهبط الى الارض تكون في صحبة المحظيات وبنات الهوى والعواهر. عشاقها فرقة كاملة وتختارهم ذوي مشارب مختلفة ولكن.. يالتعاسة من شرفته عشتار بعشقها، لانها تعامل عشاقها السابقين بقسوة حتى يدفعوا الثمن غالياً، لما غمرتهم به يوماً ما. حتى الحيوانات تفقد قوتها عندما يأسرها الحب فتسقط في حبائل نصبها البشر، او يستأنسها البشر وهي الاوابد.

حبها قاتل حتى للآلهة. ففي صباها احبت تموز، وقتله هذا الحب مثلما اخبرتنا بذلك الملحمة، لكن الاسى استولى عليها وتدفق نحيبها على الحبيب الميت. لم يكن قلب عشتار بعيداً عن الرفق، بالرغم من عنفها. وقد عرف الملوك حب عشتار الذي كان سبباً في ارتقائهم العرش. ويكفينا التذكير بقصة سرجون الاكدي ملك اكد.

انها المسيطرة على العالم بفضل قوة الحب. وهي اكثر الربات شعبية في آشور وبابل. وفي فينيقيا، هي الربة العظيمة «أشتارت» ونقلت الكثير من صفاتها الى افروديت الاغريقية. ومازالت كلمة دالة على الفعل الجنسي



والاتصال الثنائي. واللغات السامية، نجد اصولها في اسم عشتار كقولنا في اللغة العربية «عاشرها» بمعنى ضاجعها. «وعاشر» البقرة المخصبة، الحامل! «وعشيرتي» للمعشوقة.

لقد رسمنا صورة واضحة لاهم الالهة المتكون منهم المجلس، وعرفنا عناصر كل منهم ووظائفه، وسيكون سهلاً وبسيطاً علينا تحليل بنية الاغتيال، باعتبارها اهم بنية في نص الملحمة، ولانها تحاول التمركز كقراءة جديدة.

يجب اولاً ملاحظة مجلس الالهة وم تكون عند مناقشة اتخاذ قرار اغتيال انكيدو. ويلاحظ ان الالهة التي حضرت الاجتماع هي: **آنو+أنليل+أيا+شمش** السماوي، حضروا بتسلسلهم التراتبي الخاضع لاهمية كل منهم في البنية الذهنية والفكرية للعراق القديم[٣٢].

ان الالهة مثل البشر، لهم زوجاتهم وعوائلهم[٣٣] وهم ملوك السماء، الا انهم كملوك الارض كانت لهم بلاطاتهم وخدمهم وجنودهم. ويسكنون قصوراً تقع اما فوق السماء على جبل الشرق العظيم، او تحت الارض في الاعماق السفلى، ورغم ان لكل منهم منطقة نفوذه الا انهم كانوا يجتمعون احياناً لمناقشة مشاكلهم المشتركة. آنذاك يجتمعون في قاعة تدعى «الايشوكينا» وكانوا يتحشدون -على الاخص- بداية كل عام في عيد «الزاكمون» وليقرروا مصائر البشر. وهكذا كان الالهة يكونون مجتمعاً متسلسلاً شديد التنظيم.، لكننا نكتشف بأن الاجتماع المكرس لمناقشة اغتيال انكيدو لم يكن متكاملاً. ويبدو بأن الاله «انليل»

(٣٢) يراجع ناجح المعموري. ملحمة كلكامش والتوراة. دار المدى دمشق، ٢٠٠٩.

(٣٣) ن.م.



هو الذي خطط للاجتماع بطريقة تمكنه من تمرير الذي يريد. لذا تغيب عدد من الالهة عن الحضور وربما تقصد «انليل» عدم ابلاغهم بالاجتماع للاسباب التي سنشير اليها.

* غابت الالهة «اورورو» لانها عرفت بالذي سيكون وسيحصل، لذا تخلفت وربما كان مقصوداً، مثلما قد تكون «اورورو» غير مدعوة للحضور. لان ماتقرر اتخاذه في ذلك الاجتماع، يحمل تناقضاً صارخاً مع وظائفها الحياتية، ذات الطابع الاخصابي والفاعل من اجل ادامة الحياة، ودفع عجلة تقدمها وتطورها. ولانها هي التي خلقت «أنكيدو» وبطلب من الاله «آنو» لانقاذ مدينة اوروك، من اضطهاد الملك للناس فيها. فليس من الممكن حضور الالهة «اورورو» ذات الوظيفة المعروفة الى اجتماع وتساهم باتخاذ قرار الاغتيال لابن هي خلقته. وستكون بادرة خطيرة مشاركة الالهة الام. لكن غيابها كان بمثابة تحايل للتخلص من معارضتها او مشاكستها وتأثيرها الفاعل.

* أما غياب عشتار عن حضور الاجتماع، فله اسباب معروفة، ويكفينا نص الملحمة لملاحقة الاسباب، ومنها الموقف العدواني المعروف الذي نشأ بين الاثنين جلجامش/عشتار وعشتار: انكيدو. لكننا ندرك جيداً بأن العداوة بين جلجامش /عشتار، وهي أكثر وضوحاً في النص، وخصوصاً بعد عودته منتصراً مع انكيدو من غابة الارز واجراء طقوس العودة المتمثلة بالاغتسال ونزع الملابس الرثة، وارتدائه لاجمل وافخر الثياب فعندما رأته، اشتهته وارادته رجلاً لها، من اجل اشباع رغبتها وجوعها الشهوي، لكنه رفض طلبها وتوسلاتها. ووجه لها تقريعاً واهانة حادة جداً، منطلقاً من قوته الذكورية وسيادتها الشمسية بعدما عاد منتصراً من غابة الارز.



تعال يا جلجامش وكن حبيبي الذي اخترت
امنحني ثمرتك «بذرتك» اتمتع بها
ستكون انت زوجي واكون زوجك ص ١٠٨

أدار الملك جلجامش ظهره لعشتار، متحدياً لها وللتقاليد الدينية القمرية/التي كانت سائدة، هذا يكشف لنا التحول الذي طرأ في البنية الدينية. ودفع هذا الاختلاف للتعاكس مع النظام الامومي، وبروز هيمنة الاسطورة الذكورية/جلجامش

ففتح جلجامش فاه واجاب عشتار الجليلة
ماذا علي ان اعطيك لو اخذتك زوجة؟
هل سأعطيك السمن والكساء لجسدك؟
هل ساقدم لك الخبز والطعام؟ واي اكل وشراب ساعطيك مما يليق بسمة الالوهية والملوكية ص١٠٩

وواضح بان غيابها عن اجتماع مجلس الالهة كان نتيجة الى:

ربما اغفلت دعوتها لحضور الاجتماع، وهو الارجح، حيث لم توجه لها دعوة من قبل الاله انليل لانه يعرف جيداً بالذي جرى ودار بينهما، مثلما ادرك تفاصيل ما وقع بينها وبين «أنكيدو» ولان تقريع جلجامش كان قاسياً، ولانه ملك منحته الالهة حق التفويض واقامة الحكم، وهو حلقة الاتصال بين الالهة والناس، وهكذا اراده «انليل» لذا فانها ستكون منحازة جداً ضد جلجامش ، لذا اغفلت دعوتها، لان السلطة التنفيذية في المجلس -أنليل- لا يريد الموت لجلجامش، لانه منحه الملوكية، وجعل رأسه اعلى من رؤوس الناس. وكان انتصار



جلجامش في البقاء حياً واغتيال انكيدو اشاره على الخصوصية في الحق الالهي المقدس لملوك الشرق.

«امنحني بذرتك اتمتع بها»

ويبدو من خلال هذا النص ترقب عشتار لعودة جلجامش كي تقترن به، لانها تعرف مسبقاً النتائج التي سيتوصل اليها. لكنه قرعها بالكلام القاسي ووجه لها الاهانات. ويقرن النص انزال الثور مع اهانة عشتار. وهذا ما يرشح عنه السطح الخارجي للنص، لكن انزال الثور السماوي كان بسبب تجاوزات جلجامش على الرموز القمرية في غابة الارز، وجاء نزول الثور ليأتي على اخر رموز عشتار. وليؤكد على انهيار سلطة الالوهة المؤنثة. لذا تصرفت عشتار بشيء من الذكاء عندما قالت له «**امنحني بذرتك اتمتع بها**» لتوحي للآخرين باهمية الخصوبة لديها، وهي تريده مخصباً لافحولة استهلاكية، قادرة على اطفاء شبقها وفورانها الشهوي. ان الانهماك[٣٤] الدائم في الجنس، الذي تأخذه الاسطورة الذكرية على عشتار، هو عين فضيلتها. ذلك ان الالوهة في المفهوم العشتاري ليست امراً للدافع الجنسي، بل هي الدافع الجنسي ذاته في ديناميكيته الكونية الدائبة. ورغم الاخلاقية الجنسية البطريركية التي توجهتها في الشرق القديم الشرائع اليهودية بقيت الاخلاقية العشتارية في قلب الديانات البطريركية السائدة. وبقيت طقوس الجنس المقدسة قائمة في معابد الخصب وفي اعياد الربيع السنوية في كل الثقافات .

(٣٤) فراس السواح... لغز، سبق ذكره.



قد اجتمعوا يتشاورون وقال آنو لانليل
لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا
فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع اشجار الارز من الجبال ص١١٧

كان الاله «آنو» اول المتحدثين في الاجتماع، لانه الرب الاعلى، اختار الالهة مكانه للاجتماع، لانه السماء. لذا ابتدأ بالكلام وشخص بدقة تامة ووضوح بيّن الفصل المشترك للاثنين معاً. فهما ساهما بقتل خمبابا في الغابة، وقتل الثور السماوي الذي طلبته عشتار، فارسله ليعاقب جلجامش، المتباهي بقدراته والمتناسي لفضل الالهة عليه، وعلى الرغم من ان «آنو» لم يشخص الملك بالاسم مرشحاً للقتل، فأنه عينه ضمنياً واشار له في خفايا الكلام.

لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا/ فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع اشجار الارز من الجبال».

لم يتمكن، او لم يرد ترشيح احدهما بالاسم، لكنه رشح الذي اقتطع اشجار الارز من الجبال. واول من اقتطع اشجار الارز من الجبال هو جلجامش، لذا يجب ان يقع عليه الموت

«بقولك هذا احزنت قلبي
على انني سأمد يدي واقطع اشجار الارز
ولاكون لي اسماً خالداً
وساصدر يا صديقي اوامري الى صانعي السلاح
وسيصنعون السلاح بحضورنا ص٩٧-٩٨



هذا النص يشير الى ماسيقوم به الملك، وقبل سفرتهما الى الغابة. وتلك واحدة من البنى الفنية والفكرية التي تميزت بها الملحمة، وهي الاشارة لامكان وقوع او حدوث شيءٍ، أي تقدم تشوفاً واستباقاً قبل التحقق. وتقدم لنا الملحمة نصاً صريحاً، يضع مسؤولية قطع الارز على الملك جلجامش، ليؤكد بهذا الفعل الحقيقي ما اشارت له الملحمة قبل سفرتهما معاً. وتلك واحدة من خاصيات الملحمة الفنية.

ودنت ساعة اللقاء الحاسمة لما بدأ جلجامش بقطع
اشجار الارز بفأسه
اذ سمع خمبابا الصوت
فغضب وهاج وزمجر صائحاً: من الداخل المتطفل
الذي كدر صفة الغابة واشجارها في جبلي
ومن ذا الذي قطع اشجار الارز؟ ص ١٠٦

جلجامش هو الذي قطع اشجار الارز. وهذا ما يعرفه الاله «آنو» وان لم يصرح به، بل تركه مخفياً ومفتوحاً في آن وعارفاً بأن الالهة «انليل-أيا-شمش»، يعرفون به ايضاً، لكن الاله «انليل» استدرك سريعاً للرد على كلام الاله «آنو»

ولكن انليل اجابه: ان انكيدو هو الذي
سيموت، ولكن جلجامش لن يموت ص ١١٨

اجابة «انليل» قاطعة وصارمة، رافضة تماماً لمقترح «آنو» القاضي بوقوع الموت، على الذي قطع اشجار الارز، وهو جلجامش. لكن انليل



لم يوافق على ذلك لانه الاله الوحيد الذي له صلة مباشرة مع الملك، مثلما هو مانح علامة الملك. والذي وحده يهبها لمن يختارهم. وجلجامش واحد من الذي منحهم «انليل» علامة الملوكية.

لقد اعلن جلجامش في لقاء له مع شيوخ اوروك بأنه سينفذ مهمة قطع اشجار الارز التي اشار اليها الاله «آنو» كتهمة تستحق الموت.

«**سأمد يدي واقطع الارز، فاسجل اسماً خالداً**» وأشار د. يوسف حوراني الى ان «عشتار حبيبة تموز الذي يوصف بأنه غابة الارز [هشورا] كانت تلف اغصاناً من الارز حول ذراعيها وجسمها» هل لهذا السبب كان قطع الارز اخطر الاعمال؟ ام لانه مرتبط -كما قال د. يوسف حوراني- بالاله تموز؟

هناك رأي، اعتبر دخول غابة الارز، وقطع اشجارها وقتل حارسها «اول سابقة في تاريخ البشر، يضع فيها الانسان ارادته في مقابل ارادة الالهة. ويمتحن قوته تجاهها. لقد كان عبد خوفه من المجهول. يرى في كل ما حوله ظاهرة مقدسة تخفي وراءها قوة الهية. او شيطانية طاغية».

كان الملك من وجهة[٣٥] النظر الدينية الواسطة بين الالهة والناس الذي خلفهم لخدمتها، فكان يمثل الناس امام الالهة. وبالمقابل فقد كان الواسطة التي تنظم الالهة من خلالها شؤون الدولة للناس. ولان العلاقة وثيقة بين الملك والشعب، ويتوقف عليها مستوى «الانليلة» حماية للشعب. لان رفاهية الشعب[٣٦] كانت تعتمد على رفاهية الملك. فقد كان أي خطر يهدد الملك ذا اهمية قصوى، وعندما يشير الطالع

(٣٥) ساكز، عظمة بابل، ت. د.عامر سليمان، الموصل، ١٩٧٩، ص٤١٤.
(٣٦) ساكز.. سبق ذكره، ص٤١٥-٤١٦.



والنذير الى اقتراب هذه الاخطار كان لابد من اتخاذ اجراءات محددة وفي ظروف معينة خاصة. كان ينتخب احد الاشخاص بديلاً عن الملك بل حسب بعض التفسيرات» يقتل بديلاً عنه. وربما هذا هو السبب او اهم الاسباب في اختيار «أنكيدو» للاغتيال ومن قبل الاله «انليل» بديلاً عن الملك جلجامش. ويقدم لنا نص الملحمة الكثير من الشواهد على انحياز انليل لجلجامش.

انك الرجل الاوحد، انت الذي ولدتك امك
ولدتك امك «ننسون» البقرة الوحشية المقدسة
ورفع «انليل» رأسك عالياً على الناس
وقدر اليك الملوكية على البشر ص٩٣

وفي اسطورة «موت جلجامش» نص واضح، نقدمه لنؤكد من خلال تأويلنا النص الخاص لانحياز «انليل» ومنصارته لجلجامش

ان مغزى حلمك ايها السيد جلجامش
لقد قدر مصيرك ان تحوز الملوكية يا جلجامش
اما الحياة الخالدة فلم تقدر لك
ولكن لايحزن قلبك من اجل تلك الحياة..
ولا تبتأس ولاتقنط وتحزن
ومن ارتكب الخطيئة من بني الانسان
ومن المحرمات اطلق يديك
لقد وهبك نور البشر وظلمتهم



ووهبك السيادة على البشر

وقدر لك النصر في المعركة التي لايسلم منها احد

وقدر لك النصر في الهجوم الذي لايسلم منه احد. ص١٨٧

واجد بان الاله «آنو» كان وراء تخليق «أنكيدو»، ليكون نداً لجلجامش وليوقف تجاوزاته. ولذا استجابت «اورورو» لطلب آنو وخلقت الند القوي وبه الكثير من صفات آنو. ويبدو بأن تخليقه، كان جذر الاختلاف بين الالهين «آنو» و «انليل» لان تخليق «أنكيدو» يعني كبحاً لحامل علامة الملوكية وصفتها . وهنا يكمن العداء بين «انليل» و «أنكيدو»، لان في تخليقه صورة للفعل الاجتماعي والسياسي المتعارض



شكل – ٦ قتل خمبابا



مع وظائف «انليل» في منح الملوكية. ويعني رفض وغضب سكان اوروك، وتصاعد شكواهم نشوء مرحلة سياسية واجتماعية ودينية جديدة. تحمل في اطرها العامة ارتفاع صوت الاحتجاج والاستنكار وسط مجتمع عبودي.

كان الاله «انليل» متطابقاً مع عناصره في الدفاع عن الملك جلجامش. وعن الملوكية، ويكمن ايضاً وراء حماسته لمناصرة جلجامش، الدور الالهي الذي يمارسه الملك واشتراك الناسوت واللاهوت في شخصيته. وفي ذلك تأكيد وتركيز للدور والموقع السياسي. وفي هذا اشارة واضحة وصريحة للصلة بين السياسي/ الملك وبين الديني/الالهي لان مشاركة[٣٧] الانسان في الالوهية تبرز في الذهنية الاسطورية المعنية على الاقل من الالهة. فان هذا لايعني الاتجاه الاخر غير القائم ولايؤكد نفسه، أي اتجاه المشاركة من موقع الانسان نفسه. فلقد ظهر ذلك بوضوح، ونضيف ان لقاء الناسوت واللاهوت في شخص الانسان يكتسب وفق تلك الذهنية اكثر من صيغة، فهنالك الصيغة التي نواجهها في شخصية جلجامش التي تتسم بتغليب العنصر اللاهوتي على العنصر الناسوتي، ومن البين ان سبب ذلك يعود الى اعتبار جلجامش ملكاً.

بعد ان خلق جلجامش، واحسن الاله العظيم
خلقه. حباه الاله «شمش» السماوي بالحسن
وخصه «ادد» بالبطولة جعل الالهة العظام صورة
جلجامش تامة كاملة.

---

(٣٧) د. الطيب تزيني، سبق ذكره، ص٣٨.



كان طوله احد عشر ذراعاً وعرض صدره تسعة امتار
ثلثان منه اله، وثلثه الثاني بشر ص٧٧

لقد انتصر الملك جلجامش بصفته الثنائية، الناسوت واللاهوت، على الرغم من انه تجاوز على بعض العلامات الالهية، مثل خمبابا، الموكل له مهمة حماية غابة الارز، وتعني في بعض محمولاتها تجاوز جلجامش على المتوازيات الدينية ويمثل هذا تعطيلاً لعنصر ديني، او وظيفة من وظائف «انليل» اوكل بها الى خمبابا. واكد د. عبد الرضا الطعان على ان الاله انليل، هو الذي خص جلجامش بالملك ورفع رأسه علياً فوق الرجال، فاننا سنجده ينتصر في انتقامه لجلجامش حيث يقرر اغتيال انكيدو دون جلجامش. وكان اصرار «انليل» على اغتيال «أنكيدو» بعد المفاجأة التي استولت على «آنو» الملتزم بالصمت وسكوت «أيا» أوغيابه عن الحوار، بحيث لم يبرز دوره المعروف كإله للحكمة والذي يتدخل دائماً لخدمة الانسان ومناصرته وحمايته من الموت والاندثار. وهذا ما اكدته اسطورة الطوفان وآدابا. لكنه في هذا المحور، ظل صامتاً وكأنه لم يحضر الاجتماع[٣٨] وعدم استطاعة الاله «شمش» الانتصار لانكيدو، حيث يعني هذا اضطراب نواظم عمل السلطة الدينية. ووجود خلل واضح في انساق عمل مجلس الالهة، متمثلاً ذلك بطغيان «انليل» السلطة التنفيذية

(٣٨) لم يكن «ايا» حاضراً الاجتماع في نص الملحمة المنشور في المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين مختارات من النصوص البابلية، تأليف لابات، ترجمة: الاب البير ابونا ود. وليد الجادر. كذلك لم يكن الاله ايا حاضراً في الملحمة التي ترجمها انيس فريحة ضمن كتابه ملاحم واساطير من الادب السامي. اما في النصوص الاخرى -وهي كثيرة- فقد كان حاضراً ومكتفياً بالصمت الكامل.



في المجلس. وافرز هذا الاضطراب ضمور دور الالهة وخصوصاً المعارضة «شمش+آنو+ايا» الاخير كان صامتاً وهو بذلك يعبر لاول مرة عن موقف سلبي، حيث رضي استهداف الانسان، ولم يناصره. وكشف لنا التشاور التحاوري في المجلس، بأن الصوت الحاسم هو للاقوى -انليل- وغياب المحاورة، وديمقراطية التحاور الحر في الاراء. واعتقد بان غياب «ايا» غياباً كلياً وهو [مبدع الانسان وخالقه وحاميه] كان مقصوداً من قبل الذي كتب النص، مكتفياً بوجوده الشكلي ضمن اسماء الالهة التي حضرت اجتماع المجلس. ومثل اصرار «انليل» على اغتيال انكيدو، تعبيراً عن سيادة رأي الواحد وغياب التعددية الحوارية. مثلما يمثل اضمحلال دور الالهة وضعف فاعليتها، مخالفاً في ذلك المكونات الاولى للعناصر التي صاغت الالهة ومكوناتها. ولكن يجب ان نؤشر معارضة كل من «آنو + شمش» وآنو الذي اختار وبدون تصريح جلجامش . اما شمش فهو اكثر مناصرة وتزمتاً بوظائفه عن غيره من الالهة. لذا كان معارضاً:

«فعلام يقع الموت على انكيدو وهو بريء» ص ١١٨

كان شمش واضحاً، مثلما انليل، وكل منهما جسد عناصره وبشكل جيد. لذا قال:

الانك تطلع عليهم كل يوم حتى صرت كأنك واحد منهم ص ١١٨

وهذا يعني نزول شمش يومياً الى الناس ومنذ لحظات الفجر الاولى. واوجد نزوله هذا خاصية مميزة له. واضفى عليه عنصر الحيوية والعدل



والقوة. القوة الارضية المتأتية من علاقته مع البشر. ورشحه هذا الموقف للوقوف معهم وكان وقت اختيار «أنكيدو» للاغتيال هو بعد عودتهما منتصرين من غابة الارز. حيث اقام جلجامش حفل ابتهاج بالانتصار والعودة سالماً مع صديقه. شربا واكلا مزهوين. ونام كل منهما مطمئناً. وتكون الرؤيا ايضاً هذه المرة متكررة، اعتمدت عليها الملحمة بحيث صارت اطاراً موجهاً وبفاعلية تطورها البنائي. وظل «أنكيدو» مستسلماً لها. وهو وحده القادر على فك شفراتها.

اقام جلجامش حفل فرح في قصره
نام البطلان واستراحا في فراشهما مساء
وعندما نام انكيدو رأى حلماً
فنهض انكيدو وقص رؤياه على صاحبه وقال:-
ياصاحبي لم اجتمع الالهة العظام في مجلس الشورى

****

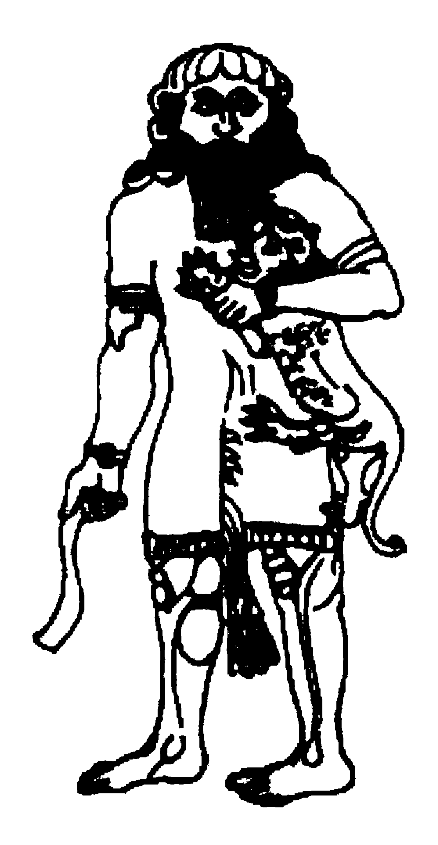
ثم طلع النهار فقص انكيدو رؤياه على جلجامش
يا صاحبي أي حلم عجيب رأيت الليلة الماضية
رأيت ان «آنو وانليل وايا» وشمش السماوي
قد اجتنمعوا يتشاورون وقال انو لانليل
لانهما قتلا الثور السماوي وقتلا خمبابا
فينبغي ان يموت ذلك الذي اقتطع اشجار الارز من الجبال
ولكن انليل اجابه قائلاً ان انكيدو هو الذي يموت
ولكن جلجامش لن يموت
ثم انبرى شمش السماوي واجاب انليل البطل وقال:



الم يقتلا ثور السماء وخمبابا بأمر مني؟
فعلام يقع الموت على انكيدو وهو بريء

فالتفت انليل الى شمش واجابه حانقاً:

لانك تطلع عليهم حتى صرت كأنك واحد منهم. ص١١٧–١١٨



شكل – ٧ انكيدو – نحت بارز على جدار قصر سرجون الثاني الاشوري



الفصل الثالث

الغابة السوداء

يقدم نص ملحمة جلجامش شاهدة حملت انكيدو مسؤولية قتل خمبابا وبسبب ذلك اعلن «انليل» قراره باغتيال «أنكيدو». وقد اشتغل عليه الكثير من الباحثين. وسنحاول فحص ذلك ونبش اعماق النص وتقشيره من اجل قراءة اكثر وضوحا

.... فرق قلب جلجامش وكاد ان يبقى عليه. ولكن
صديقه انكيدو حرضه على قتله، فقتلاه وقطعا رأسه ص١٠٧

لقد وقعت مسؤولية جزائية على انكيدو، ولكن الفحص الجديد للعلاقات الموجودة داخل النص، تؤكد لنا براءة انكيدو، لان كبير الالهة «شمش» اعلن مناصرته لهما لحظة احساسهما بالخوف والرعب، لانه الوحيد الذي كان قادراً على المناصرة لعلاقته المعروفة لبني البشر

واخذا يتضرعان الى الاله «شمش» ليعينهما على الخلاص من الهلاك
فاستجاب لهما الاله، وانقلبت الاية، حيث اهاج «شمش» الرياح العاتية
وساقهما على «خمبابا» .
فامسكت به وشلت حركته، فاستسلم لهما ص١٠٧



يتحمل شمش المسؤولية لانه هو الذي اراد ذلك. ولم يكن راغباً وراضياً عن الذي سيحصل لأهاجة الرياح وحدث الذي وقع. ولا اعتقد بان التضرع اليه كافٍ لاهاجة الرياح ومناصرتهما، وانما وجود قبول بالسفرة ومباركة لهما. لان «خمبابا» يمثل عنصر الشر/الظلام، والمعاكس للوظائف الخاصة بالاله «شمش». وهذا التناقض والاختلاف بوظائفهما، هو السبب الاساس في وجود الصراع. سبب ظل غائباً في قراءة «ساكز» للملحمة لكن «ساندرز» توصل الى ان «شمش» هو الاله العالم بكل شيء والذي يرى كل شيء. والقاضي الاعظم الذي يلوذ به البشر الفانون المسهدون، مستغيثين من المظالم وهم يعرفون بانه سيستمع اليهم، ووجد ساندرز في فحصه للسفرة الى غابة الارز مستويات عديدة وارى بان اهم هذه المستويات اعتبار[٣٩] خمبابا رمزاً للشر. وهكذا يؤدي جلجامش دور الفارس الذي يقتل التنين وبالرغم من ان البطلين ينتصران لانهما لزما جانب الالهة مستخدمين اسلحة «شمش» ، لدحر من هو في حماية «انليل» الذي سيقاسيان من اجله فيما بعد.

مؤكد ان «أنكيدو» عرف الاسباب الكامنة وراء هبوب الرياح. وعرف ايضاً مايريده الاله «شمش» وايقن بانه معهما ويجب عليه الاستمرار بالمهمة: وفي مرثية جلجامش لانكيدو ايضاً ايضاح حول موافقة الالهة على تلك المهمة:

---

(٣٩) ن. ك. ساندرز، ملحمة جلجامش ، ترجمة محمد نبيل نوفل، وفاروق حافظ القاضي، ص٢٤.



تنتحب المروج، كما كانت امك ستفعل[40]
ليبكيك «بمثل دموع» زيت الارز
الذي ليت الالهة شاءت لو اننا ما اقتربنا منه!

كما ان للحلم دلالة واهمية كبيرة. ومعروف بان شمش هو اله الوحي والتنبوءات ايضاً واستطاع «أنكيدو» تأويل الحلم لصالح سفرتهما. وعرف من خلاله ان «شمش» اوحى لهما بالسفر الى غابة الارز واستطاع معرفة نتائج السفر

وارتقى الجبل وسكب الماء المقدس وقرب الطعام
ودعا الجبل ان يريه حلماً يبشر بالفرح
ثم اضطجع الصديقان للراحة وسرعان ما ادركهما النوم
فرأى جلجامش رؤيا
ثم استيقظ فقص رؤياه على صديقه وقال:
يا صديقي من ذا الذي ايقظني ان لم تكن انت؟
يا صديقي رأيت رؤيا، رأيت اننا نقف في هوة جبل
ثم سقط الجبل فجأة، وكنا انا وانت كأننا ذباباً صغار
ورأيت في حلمي الثاني الجبل وهو يسقط
فصدمني وامسك برأسي. ثم انبثق نور وهاج وطغى لمعانه
وسناه على هذه الارض فانتشلني من تحت الجبل وسقاني الماء
فسر قلبي
فاجاب انكيدو، يا صاحبي ذات مغزى حسن وبشرى سارة

---

(٤٠) رينيه لابات، المعتقدات الدينية، سبق ذكره، ص٢٢٧.



ان الجبل الذي سقط عليك هو «خمبابا» ونحن سنتغلب عليه
ونقتله ص ١٠٦

تضمن الحلم شعيرات واضحة، ذات ظلال لها صلة بالسفرة والنتائج الاخيرة التي ستكون. وواضح للمتابع لآداب وادي الرافدين بأن للحلم موقعاً واضحاً في الاساطير والملاحم والقصص. ويدخل فيها مكوناً بنية فنية وفكرية مهمة.

ورؤية الحلم بعد تأدية جلجامش لطقوس التوسل والتقرب للآلهة والذي قصه على صديقه انكيدو، ربما كان رؤية للآلهة، او للاله شمش، وامره واجب التنفيذ ويجب ان يكون. وكان انكيدو -كما قلنا- اكثر قدرة ومعرفة بالتأويل وتفسير الرؤيا من صديقه جلجامش .

ان رؤياك ياصاحبي، ذات مغزى حسن
وبشرى سارة، ان الجبل الذي سقط عليه هو خمبابا
ونحن سنتغلب عليه ونقتله ص١٠٣

قدمت رؤيا جلجامش تأكيدات وتطمينات واضحة لانتصارهما في الجولة القادمة والحاسمة، التي اعتبرها جلجامش معركة ضد الشر.

فحتى اليوم الذي اذهب فيه واعود
وان ابلغ غابة الارز العظيمة
واذبح خمبابا المارد
وامحو من على الارض كل شر يمقته شمش ص ١٠٤



معرفة انكيدو بنوافذ الاحلام، واسباب الرحلة، وهبوب الرياح واضحه، باعتبارها عوامل مساعدة ومهمة في رحلتهما. مثلما كانت سبباً في تشدده في مقتل خمبابا الذي اعتبره ساندرز خطيئة انكيدو. ومما يؤكد صواب ودقة موقف انكيدو هو متتاليات الوصايا التي استمع لها من الالهة «ننسون» والدة جلجامش عندما عرفت بعزمهما على السفر الى غابة الارز.

ثم اطفأت النجوم وعوذت واحضرت الكاهنات
والبغايا المقدسات والمتبلات
ودعت اليها انكيدو واوصته قائلة:
يا انكيدو القوي، الذي ليس من رحمي
قد اتخذتك منذ الان ولداً
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقاً منه
وقالت له: انني ائتمنك على ولدي فارجعه الي سالماً ص١٠٤

كان لشيوخ اوروك وصايا خاصة لانكيدو، قبل سفره، وخصوصاً بعدما عرفوا اصرار الملك جلجامش، الذي كان شاباً، وربما لم يعرف عاقبة ما هو مقدم عليه. لانهم يعرفون صفات خمبابا، الوحش الخطير. لذا كان حماسهم في الحديث مع انكيدو واضحاً ومشدداً على التحوط في الحركة وان يعتمد على صديقه وقالوا له:

ايها الملك كنا نطيعك في مجلس الشورى
فاستمع الينا وخذ مشورتنا ايها الملك
لا تتكل على قوتك وحدها يا جلجامش



تبصر في امرك واحم نفسك

دعه يتقدم في الطريق وابق على نفسك

دع انكيدو يسير امامك، فأنه يعرف الطريق وقد سلكه

انه يعرف الطريق الى غابة الارز، دعه يتوغل في مسالك خمبابا

وان من يسير في الطليعة يحمي صاحبه

ليأخذ الحذر ويتبصر في حماية نفسه

وعسى شمش ان يجعلك تنال رغبتك

وعساه ان يفتح لك السبيل المسدود

ويفتح الطريق لمسراك، ويمهد مسالك الجبال لقدميك

عسى الليل ان يأتيك بما يسرك ويفرحك

وعسى ان يقف «لوكال بندا» لجانبك

ويجعلك تحقق امنيتك

وبعد قتل «خمبابا» الذي تسعى لتحقيقه اغسل قدميك

عند استراحتك مساء احفر بئراً

ولتكن قربتك ملأى بالماء النقي على الدوام

قرب الماء البارد الى شمش

وردد ذكر «لوكال بندا» دائماً ص١٠٢

في كلام «ننسون» وضوح التوسل، وحتى اذلال النفس في محاولة منها للحصول على تطمينات انكيدو، الذي اعتبرته ابناً لها وان لم تلده. لذا توجب عليه مناصرة صديقه الملك من خلال قوته الفائقة وخبرته في معرفة الطريق الى غابة الارز، وقدرته على تأويل الاحلام ايضاً.

ويوفر لنا حوار الشيوخ فرصة لمعرفة الجو النفسي لسكان اوروك



ومخاوفهم الواضحة. حتى ان حوارهم يكشف ايضاً انحيازهم الى جلجامش. وما محاولة شحن انكيدو بالكلام اللطيف، الا من اجل ان يكون قائداً للحملة، ومستعداً للتضحية من اجل الملك. لان الشيوخ يريدون عودة الملك منتصراً وسالماً، وعندما استمع الملك لكلامهم، ادرك جيداً، بأن نجاحه مرهون بانكيدو ولايتم الفوز بمعزل عنه

دع انكيدو يسير امامك، فانه يعرف الطريق وقد سلكه
انه يعرف الطريق الى غابة الارز، دعه يتوغل في مسالك خمبابا
وان من يسير في الطليعة يحمي صاحبه ص١٠١

هل بامكان الرجل الصحراوي والبدوي، ان يتخلى عن اخلاق الصحراء وتقاليد البداوة، التي ظلت كامنة في اعماقه، مثل النار تحت الرماد، وظلت فاعلة لحظة استيقاظها، فكيف يمكن ان يخذل خله وصديقه لحظة الاحتدام، وسط غابة الارز مع الشيطان خمبابا. و لم يكن موقف انكيدو معه خطيئة كما قال ساندرز، وانما متكون بسبب عناصر صحراوية شجاعة واحترام للعهد والمواثيق، في الدفاع عن العلاقة. لذا فأن الرجل المشحون بكبرياء البراري وشجاعة الابطال لايمكن له، ولاتسمح له كبرياء الصحراء بالانحياز ضد صديقه ويخون وصايا «ننسون» وشيوخ اوروك، وجذور الصداقة الاولى وتاريخية تلك الجذور، والابتداء.

لم تكن مهمة السفر الى غابة الارز وليدة رغبة ذاتية في نفس انكيدو. بل هي رغبة جلجامش وحده، لتحقيق مجموعة اهداف منها ملاحقة موطن الشر هناك، والعودة باخشاب الارز، والقضاء على المتوازيات القمرية في المكان البعيد، ويلاحظ بأن كل هذه الاهداف تمثل غايات



بطرياركية. ولان انكيدو يعرف خطورة وصعوبة المهمة، اعلن عن قلقه. لكن جلجامش حاول اقناعه بانها سفرة للترفيه لكننا نؤكد البطولة المتميزة عندهما معاً واذ ما كانت[٤١] البطولة فعلاً بشرياً مشروطاً بـ «الخارق» اولاً وبالفردي ثانياً فان وجودهما ضمن ذينك الطرفين يغدو ذلك الامتداد الالهي للانسان يقطع عليه احتمال الصيرورة الى بطل. ففي وجه اللاهوتي انتفاء، بمعنى ما، لوجهه الناسوتي. وفي هذا الاخير كذلك انتفاء لذاك، ولكنهما بمعنى آخر متشابكان متداخلان، يشير الواحد منهما الى الاخر.

وهنا تتداخل المفاهيم، ونجد اللاهوت كامناً في الناسوت. والاخير اختار اللاهوت حاضنة له. لذا من الصعب فك الاشتباك بين الاثنين داخل البنية الذهنية الاسطورية، لاننا نواجه الاله[٤٢] انساناً والانسان الهاً، ولكن ذلك ينطوي على الوجه الاخر في المسألة وهو ان الناس العاديين وان كانوا مشاركين ضمناً ونظرياً بـ «الالوهية» فأن اعباء العمل الحقيقي هم الذي يتحملونها. و كان انكيدو مشاركاً بشكل فاعل في سفرة الارز ومبارك من قبل الالهة و «ننسون» وشيوخ اوروك. لذا قام بالذي يجب ان يقوم به، منفذاً التزاماته الفكرية والاخلاقية، وهذا لايعني كون انكيدو هو الذي قتل خمبابا، حتى يتحمل خطيئته في ذلك كما قال ساندرز لان الخوف والقلق كامنين في اعماقه، خوف ممتزج بالحذر والخشية من هذه المغامرة التي ادرك جيداً ما ستكون عليه النتائج متعبة.

---

(٤١) د. طيب تزيني، سبق ذكره، ص٣٨٢.

(٤٢) د. طيب تزيني، سبق ذكره، ص٣٨٧.



لقد انتصر الاله «شمش» لهما، بعدما قدم له جلجامش
صلواته، ومارس طقوسه في حفر البئر وقرب اليه الطعام
وارتقى الجبل وسكب الماء المقدس يبشره بالفرح
لقد اضطجع الصديقان للراحة وسرعان ما ادركهما النوم
فرأى جلجامش رؤيا. ص١٠٦

وفعلاً تحقق له ما اراد، بعدما توسل بالرؤيا التي بشرته بالانتصار على خمبابا رمز الظلام والشر، كي يحقق لنفسه نصراً، ويكون بطلاً فريداً ومتميزاً، وحتى يكون اسماً خالداً.

ولان الاله «شمش» يعرف براءة انكيدو، تحمس للدفاع عنه. ولان انليل يدرك مايعنيه تجريم جلجامش، اصر على اتهام انكيدو من اجل اغتياله، وتحقق له ما اراد.




مكتبة
الفكر الجديد

الفصل الرابع

زهو المنتصر

عاد جلجامش وصديقه من غابة الارز بزهو الانتصار، وتحقق اهداف سفرتهما السياسية والاقتصادية والدينية، متمثلاً ذلك في القضاء على موطن الشر خمبابا الحارس الذي عينه الاله «انليل» لحراسة الغابة، وتأمين الحاجة الى الخشب، وحماية المدينة من العدو المحتمل وجوده فيها.

كان جلجامش مزهواً فرحاً بانتصاره منتشياً بتفوقه، اعتماداً على صديقه وخله الوفي «أنكيدو». وكان فخوراً بنفسه وقدراته، حتى بإمكاننا القول بنرجسية طافحة وخصوصاً بعد مقتل الثور السماوي.

وعانق كل منهما الاخر وهما سائران في الارض
سارا راكبين في درب السوق في اوروك
فاجتمع اهل اوروك ليشاهدوهما
وسار جلجامش يخاطب مغنيات اوروك ويردد:
من الازهى بين الابطال؟
ومن الامجد بين الرجال؟
فيجيبنه: جلجامش الازهى بين الابطال
جلجامش الازهى بين الرجال ص١١٦



يلاحظ الانحياز الكامل الى جانب جلجامش، وتجاهل انكيدو تماماً باستثناء الاشارة الى وجودهما معاً في العربة، لكن جلجامش وحده الازهى بين الابطال والامجد بين الرجال، وهو لايدري بان فرحته تلك هي الاخيرة. وحتى نهاية الشوط الطويل، ظل محتفظاً بموقفه على الهامش الحياتي والسياسي والديني على الرغم من سجله البطولي الطويل، وبعد عودتهما الى القصر اكلا وشربا وناما. لكن «أنكيدو» رأى حلماً تجسد فيه اجتماع الالهة، كي يقرر مصيره نهائياً.

ان عودتهما الى اوروك يمثل الانتصار الكامل لكل المدينة، لان الجميع اكثر قلقاً على جلجامش اثناء رحلته. وهذا ما تجسد بردود افعال جلجامش لحظة عودته الى المدينة بواسطة الطقوس المقدسة التي مارسها، وهي طقوس انتصار الملك في معركته، وكأنها كانت له وحده. وهذا يعني في واحدة في مستويات القراءة ان الفعل المتحقق كان فعلاً سياسياً كبيراً. لذا اقتصر الاحتفال وممارسة الطقوس عليه فقط وهذا ما يؤكده اللوح السادس الذي غاب انكيدو عنه تماماً لانه الهامش حتى النهاية.

غسل جلجامش شعره الطويل وصقل سلاحه
وارسل جدائل شعره على كتفيه
وخلع لباسه الوسخ واكتسى حللاً نظيفة
ارتدى حلة مزركشة وربطها بزنار ص ١٠٨

غاب انكيدو في القسم الاكبر من هذا اللوح، لان الذي كتب النص -وبدوافع سياسية ودينية- ركز على الملك المنتصر، لانه لايريد -او الطبقة الحاكمة- شخصاً آخر يزاحم جلجامش -حتى ولو كان



انكيدو- على مباهج فرحة الانتصار وزهو البطرياريكية الصاعدة. بينما نجد الفصل الثاني -العمود الاول + العمود الثاني+ الرابع+...الخ يوحد بين جلجامش وانكيدو كبنية واحدة او ثنائيين متوازيين، متناظرين في كل شيء، لا بل نكاد نجد لانكيدو مساحة اوسع واهم من صديقه الملك، حتى الالهة «ننسون» اهتمت كثيراً بالرحلة والزمت انكيدو بالدفاع عن الملك وضرورة مناصرته ومن ثم العودة به سالماً الى اوروك مثلما ذكرنا سابقاً، حتى انها اندفعت متوسلة به.

ودعت اليها انكيدو واوصته قائلة
يا انكيدو القوي، الذي ليس من رحمي
قد اتخذتك من الان ولداً
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقاً منه
وقالت له:
ها انني ائتمنك على ولدي فارجعه اليَ سالماً ص ١٠٤

اكتفى استهلال اللوح السادس بالملك جلجامش، ولضرورات فكرية كاشفة عن موقف عشتار وهي تستقبله عائداً بالانتصار العسكري والسياسي والديني في آن:

تعال يا جلجامش، وكن حبيبي الذي اخترت
امنحني ثمرتك «بذرتك» اتمتع بها
ستكون انت زوجي واكون زوجتك
سأعد لك مركبة من حجر اللازورد والذهب
عجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز



وستربط لجرها شياطين الصاعقة بدلاً من البغال الضخمة

وفي بيتنا ستجد فيه شذى الارز يعبق فيه اذا ما دخلته ص١٠٨–١٠٩

اعلان صريح عن رغبتها للاتصال بالملك **اولاً** والمزدهي بانتصاراته البطولية **ثانياً**، وهو كشف ذاتي عن اشتهاء لمحبته كما قال ساندرز **ثالثاً**. وهي دعوة لتجديد ممارسته لطقوس الخصب الدينية **رابعاً**. لذا توسلت به وقدمت له اغراءات كثيرة. ظل جلجامش عازفاً عنها، رافضاً نداء محبتها الظاهري. و لم يكتف بذلك بل اندفع موبخاً ومقرعاً اياها.

أي خير سأناله لو اتخذتك زوجة

انت ما انت الا الموقد الذي تخمد ناره من البرد

وانت كالباب الخلفي الذي لا يصد ريحاً ولا عاصفة

انت قصر يتحطم في داخله الابطال

انت فيل يمزق رحله

انت قير يلوث من يحمله

انت قربة تبلل حاملها

انت حجر مرمر ينهار جداره ص ١٠٩

ان دعوة عشتار للاتصال مع جلجامش تعبر عن ممارستها لوظائفها الحياتية المتمثلة بطقوس الخصب، والتي كان جلجامش اميناً على تنفيذها قبل دخول انكيدو الى اورورك، وملتزماً باداء كامل الشعائر الدينية والحياتية. وكلنا نتذكر محاولة انكيدو لمنع جلجامش من دخول المعبد وتعطيل مزاولته لطقس الخصب لانه ممثل للآلهة والكاهنة ممثلة لعشتار.

ان الحوار بين جلجامش وعشتار، كاشف ومؤكد للطريقة المتوترة



في لغة الخطاب معها، ليعبر من خلاله عن رفضه لها ولعناصرها الفكرية في الحياة مثلما يمثل خروجاً وتجاوزاً على الضوابط المعروفة والمؤسسة للعلاقة بين الملك والالهة، لاسيما وان جلجامش قد منحته الالهة الملوكية وجعلت رأسه عالياً فوق كل الرؤوس.

ان ثورة جلجامش على الطقوس وما فعله لاحقاً بالثور السحري تمثل انهياراً للثقافات الامومية[٤٣] وصعود الثقافات الذكرية. غلبت الشمس القمر وتوطدت الديانات الشمسية وراح الهة الشمس والهة السماء السامية يبنون مجدهم بعد معارك حاسمة مع سيدة العتم وابنها الثور. فقتل مردوخ الام «تعامة» في صورة تنين رهيب، ومثله «اندرا» في الهند الذي ارتفع على اشلاء الفارس الذي شاعت عبادته في العالم اليوناني والروماني بعد الميلاد والذي قتل الثور السماوي فأحل نور الشمس على ضوء القمر، والى جانب الهة الشمس والهة القمر عند اعتاب الحضارة. ان اساطير هؤلاء الابطال بشكلها المزخرف الاخير وبناءها الادبي لايخفي اصلها القديم وشكلها الاول الذي صاغه اباء الانقلاب الديني قبل مطلع عصور الكتابة، وكل افعاله تتركز على قهر الرموز القمرية.

فهذا جلجامش البابلي حبيب شمش اله الشمس يسير برعاية الاله وتوجيهه فيقتل مع صديقه انكيدو تنين غابة الارز، وتجعل الاسطورة الذكرية من عشتار امرأة لعوب تقع في حب جلجامش الذي يعرض عنها ويقوم بتحقيرها وتعداد مثالبها.

لقد اتسعت سلطته الذكرية بسبب انتصارها وشموخها، والاعلان عن سيادتها المطلقة داخل اوروك. فهو الازهى بين الابطال والامجد بين

---

(٤٣) فراس السواح، لغز، سبق ذكره، ص٨.



الرجال. من هنا تنمو البنى النصية الكاشفة عن بلاغة الشرف الملكية[٤٤] التي تحمس لها جلجامش وتحمل من اجلها الكثير ونستطيع الاشارة الى وجود بنيتين فكريتين في النص وخصوصاً بعد عودته.

البنية الاولى: زهو المنتصر

البنية الثانية : بنية التقريع والاذلال. وهي اكثر خطورة في مسارات النص الفكرية. لانها تعني لنا محاولة جلجامش لقلب المخاوف التي في داخل نفسه قبل السفر، وتصعيداً عدوانياً بعد العودة ضد الالهة عشتار وهي بنية انحسار وسقوط.

ان **البنية الاولى** تمثل صعوداً فكرياً. وظل النص متحمساً لتأكيد اهمية بنية الصعود الملكي، من خلال نص طويل قياساً لحجم اللوح السادس. لذا فان الذي كتب لم يستطع اختراق الثوابت اختراقاً كاملاً والغاء المؤسس منها. ونجده يحاول زحزحة بنية الانحسار «عشتار» بشكواها للاله آنو :

ينبغي ان نقسم العمل فيما بيننا
انا امسك بالثور من ذيله
وينبغي ان يكون السيف مابين السنام والقرنين
فطارد انكيدو ثور السماء ليمسك به
وامسك به من ذيله وضبطه بكلتا يديه
وجلجامش مثل قصاب ماهر
طعن الثور السماوي طعنة قاتلة

---

(٤٤) استفادة بتصرف من ميشيل فوكو.



وغرس حسامه مابين السنام والقرنين

وبعد ان اجهز على الثور السماوي ابتلعا قلبه ص١١٤–١١٥

وتستمر متتاليات النص في نموها واتساعها لكشف وايضاح الجو النفسي في اوروك كي يكون فوز جلجامش لامثيل له، وذلك عندما عرض قرني الثور امام الصناع المندهشين من ضخامتهما.

اما جلجامش فانه دعا الصناع، وصانعي السلاح كلهم

فانبهر الصناع من كبر قرنيه وثخنهما

فان كلاً منهما من حجر اللازورد بزنة ثلاثين مناً

وثخن طلاء كل منهما اصبعان

ومقدار ستة (كرات) من السمن سعة كليهما

فقرب بمقدار ذلك زيتاً للمسح الى إلهه «الحامي» لوكال بندا

اخذهم وعلقهما في حجرة نومه/الزاهية ص١١٥

لقد اختار جلجامش لعلامة انتصاره مكاناً في غرفة نومه، المكان السري والخاص بملك اوروك، لان وجودهما هناك يذكرانه بتفاصيل رحلته الى غابة الارز، والعودة منها والدخول متباهياً ومزهواً بالبطولة التي حققها والمناصرة التي لقيها من الاله شمش. لذا نام الملك على وسائد الانتصارات والمجد، غير مدرك بأن الالهة لن تتركه هكذا بسعادة زهو الانتصار الملكي. لا من خلال استهدافه مباشرة وانما من خلال صديقه انكيدو، ورفيق الرحلة التي حصد من خلالها ارفع اوسمة البطولة. وهنا تجسد ايضاً بنية الانكسار والسقوط وبها تحققت فجيعة جلجامش بصديقه ومن ثم بنفسه، لانه ادرك صفته الناسوتية، والخلود صفة الالهة



فقط. وتلك اقسى الصدمات التي واجهت جلجامش. والصدمة المتمثلة بالابتعاد الابدي بين انكيدو وبينه. وبهذا فأن الملك سيواجه الكثير من المتاعب بسبب واحديته وغياب صديقه عنه، لان المرحلة الجديدة، مرحلة مابعد تصفية الرموز القمرية في غابة الارز هذه الحقبة الجديدة والمختلفة تماماً والتي سيواجه فيها النظام السياسي والديني نوعاً جديداً من الصراع، يتمثل بالعداوات الباقية مع دويلات المدن المتجاورة والتي تتعمق حتماً، والصراع الذي ستشهده الديانة -الشمسية- الجديدة والتي صعدت فوق حراك الديانة القمرية، التي لم تستلم على الرغم من انهيار رموزها، وتعطل بعض طقوسها(٤٥). هذه الحقبة المختلفة ستثير الكثير من المتاعب للملك جلجامش وللمؤسسات التي ينتظرها الكثير من اجل ارساء معا لم وملامح مرحلة جديدة. وهو اكثر حاجة الى صديق قوي مثل انكيدو، وسط تلك المتغيرات والاحتمالات الممكن تحققها واقعياً. لذا كان غياب انكيدو المفجع ضربة للملك. حيث ستكشف الأزمات اللاحقة ماذا كان يعني انكيدو بالنسبة للمدينة ولملكها. فإن زهو المنتصر الملكي واجه انكساراً وانهياراً سريعاً، وتجسدت بنية الخيبة مرة جديدة وثانية.

لذا حاول الملك بعد ذلك ان يجد معادلة، يحاول بها ومن خلالها اعادة التوازن لشخصيته، ويوقظ مفاهيم سابقة يتعامل معها كمسلمات في الحياة والسياسة والدين. من هنا تولدت قناعات بالموت، لكن الموت الذي يأتي معه العز والفخار والمجد. لان الموت الذي يكون مع المجد لا يعتبره جلجامش موتاً.

---

(٤٥) للاطلاع أكثر يراجع كتابنا تأويل النص التوراتي. أسطورة نبات اللفاح وعقائد الانبعاث الكنعاني. دار المدى. دمشق ٢٠٠٨.



سيحمي احدنا الاخر،
واذا ما سقطنا في النزال
فسنخلف من بعدنا اسما خالدا ص ١٠٥

لم يعرف جلجامش الموت عن قرب، وعرفه كأمر مجرد و لم يكن[٤٦] مسه الموت مباشرة. بحقيقته الرهيبة الى ان يموت انكيدو، ويدرك ما لم يدركه من قبل. اذن كان يعرفه كأمر محتوم، يواجه الانسان، لكنه لم يواجهه مباشرة من خلا الفقدان القريب. وقد حاول تحدي الموت بامتلاك جثة صديقه وابقائه. ولكنه اصيب بالرعب بعد ستة ايام وسبع ليال، وهو يرى من أحب متفسخاً وقد خرج الدود من انفه.

قال جاكوبسن: لعل اقل الاثنين افصاحاً وتعليلاً هي الثورة على الموت. اننا نلقاها. في صورة سخط مكتوم واحساس دفين بالظلم. وهو احساس اكثر من تفكير. ولكن مما لا يرقى الشك إليه هو ان هذا الاحساس منشوءه الفكرة الجديدة عن حقوق الانسان والمطالبة بالعدالة في الكون فالموت شر، بل هو العقاب الاكبر و لم يكن الموت حتى لحظة عودته من غابة الارز يعني شيئاً فهو قد قبل مقاييس البطولة المعهودة ومقاييس حضارته المعهودة، لكنه عرف الحقيقة المريرة لاحقاً[٤٧].

من اجل انكيدو، خله وصديقه
بكى جلجامش بكاء مراً

---

(٤٦) توركلد جاكوبسن، ارض الرافدين، في كتاب ماقبل الفلسفة، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٠، ص٢٤٨.

(٤٧) للاطلاع على التفاصيل، يراجع ناجح المعموري (تقشير الاسطورة، انانا، كلكامش وشجرة الخالوب.



وهام على وجهه في الصحارى [وصار يناجي نفسه]:
اذا مت افلا يكون مصيري مثل انكيدو؟
لقد حل الحزن والاسى بجسمي
خفت من الموت، وها انا اهيم في البوادي ص١٢٨

ان شرعية الشخصية الانكيدوية عبر خلقها، اوجدت مبرراً لشرعية الوظائف الموكلة له عبر حياته الطويلة، وللحد من طغيان جلجامش «وليس للقضاء عليه والحلول محله» ويكتشف الذي كتب النص حلاً لهذه العقدة بأن يجعل انكيدو يلتقي بجلجامش ويتصارعان طويلاً وبعنف انتهى بان تصادقا معاً صداقة حميمة وقررا التعاون للقضاء على الاشرار في الارض وتخليد اسميهما باعمال البطولة[٤٨] البطولة التي تحولت الى لعنة لاحقت انكيدو لانه حصد ثمن الخطأ المزدوج الذي اقترفه جلجامش متمثلاً في قتله لخمبابا و لم يستطع ثني[٤٩] صاحبه عن هذه المغامرة ولكنه لم يستطع لان جلجامش كان قد ابتدأ نوعاً جديداً من الصراع رآه حلاً لمشكلة قلقه امام المصير. وهذا الصراع هو طموحه الى المجد وتخليد اسمه.

اما الاسباب الكامنة وراء ملاحقة الاله انليل لانكيدو وقراره بتصفيته فهي عديدة و لم تصرح بها الملحمة وحاولنا تأويل النص والوصول لها:

* انقطاع انكيدو كلياً عن ممارسة فعل الاتصال الثنائي مع المرأة ومنذ لحظة دخوله الى اوروك وحتى وفاته. حتى انه لم يتزوج و لم يقم علاقة ما مع أي امرأة من نساء اوروك. وكان ممكناً له هذا. اما

---

(٤٨) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٩٤.
(٤٩) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٩٥.



الاشارة التي تضمنها النص فانها ترد بصفتها الدينية لا الواقعية الحياتية.

ويبكيك من اطعمك الخبز
ومن مسح ظهرك بالزيت
ويندبك من سقاك الجعة
وتبكيك البغي التي طيبتك بالزيت العطر
وان يندبك من جلب اليك الزوجة والخاتم «الحلقة» التي اخترت
وعسى ان يبكيك الاخوة والاخوات
وان يطيلوا شعورهم من اجلك ص١٨٣

هذا النص جزء من اللوح الثامن، الذي اكتشف لاحقاً في سلطان تبة. وتضمن حوار جلجامش وصديقه، في محاولة منه لتسليته وتخفيف احساسه بالخسران والفجيعة بعد ما رأى حلماً كشف له اقتراب نهايته.

* لقد ساهم انكيدو بشكل واضح ومتميز بتعطيل واحدة من طقوس اوروك القمرية، منذ لحظة دخوله اليها، حيث منع جلجامش من الدخول على «اشخارا» والغى هذه الممارسة، ومنذ ذلك الحدث، حصلت تغيرات في الثقافة القمرية، وهذا يعني حصول التحول في البنية الذهنية في العراق القديم، بالغاء هذا الطقس، وتعطلت وظائف العشرات من البغايا والمومسات اللاتي استعانت بهن عشتار للنواح بعد مقتل الثور السماوي السحري.

فجمعت عشتار المترهبات وبغايا المعبد والمومسات
واقامت المناحة والبكاء على فخذ الثور السماوي الايمن ص١١٥



* امتلاك انكيدو للثقافة والخبرة العالية، مما اهلته للتميز عن غيره وخصوصاً طبقة الكهان، واضح لنا هذا من خبرته في تفسير الاحلام والرؤيا وتأويلها، كاشفاً عن وعي متقدم. وهذا التفوق بكلية المعرفة وادراك نظم الالهة جميعها وكذلك وظائفها. وهذا التفوق الذي امتاز به انكيدو ووثق به اكثر صداقته مع الملك، خلق له اشكالات عدة وابرزها مع الكهنة، لانه زاحمهم بذلك. وهم قد عرفوا بهذه الوظيفة وكانت جزءاً من وظائفهم الدينية.
* سفرته الى غابة الارز، واحدة من الاسباب الفاعلة والكامنة وراء اختياره للاغتيال، تحدثنا سابقاً عنها بشيء من التفصيل. وساعد انكيدو كثيراً على انجاح تلك السفرة وتحقيق اهم النتائج وخصوصاً انتصاره على موطن وعلامة الشر. وقد تعاملت معه السلطة الدينية كجسد، لا باعتباره وسيلة للتناسل وانما كان موضوعاً للاستثمار البطيء.
* كان انكيدو انساناً صحراوياً، ويبدو بأن التعامل معه ظل محصوراً في هذا الاطار الحضاري، لا الجغرافي فقط. واذا كان لابد من القتل، فلا يعقل اختيار الملك الذي اختاره انليل ملكاً وجعل رأسه علياً فوق رؤوس الناس، مضافاً لصفات جلجامش اللاهوتية. وهو الحاكم المفوض من الالهة مثله مثل ملوك الشرق القديم. ولانه كان وظل مركزاً فأن الاختيار وقع على الهامش.
* رغبة الالهة او الاله «انليل» على الاقل باعادة جلجامش الى كل المساحة التي كان يشغلها ويعبر عنها بواسطة افعاله ورغباته وطموحاته، لتأكيد قوة الصلة مع الالهة ومتانة العلاقة واياها، حتى يوفر هو –الناسوت– فضاء اوسع للممارسة اللاهوتية ويدفع بالسلطة الدينية الشعبية او الارضية باتجاه سلطة مجلس الالهة، ويمنحها قوة



اكبر ويوفر لها امتيازاً لم يكن من قبل. ومن المؤكد، سيتجاوز جلجامش مرحلته المؤقتة، مرحلة الفقدان والخسارة، وسيتمكن تدريجياً من هيمنة الموت، ويعاود ممارسة سلطته مرة ثانية وجديدة، بعدما صار اكثر عقلانية ودقة. لكن هذا لايعني تراجعه عن اضطهاد سكان اوروك، بل اعتقد بانه سيندفع بهذا الاتجاه، بسبب انتقال السلطة القمرية الى البطرياركية.

* علينا الاشارة الى طوباوية شعب اوروك بالرغم من اضطهاد وممارسة فعل القهر اليومي معه. لكن ظل طوباوياً مرتبطاً مع ملكه. لانه ادرك ضخامة انجاز الملك من خلال بناء سور اوروك وقتله خمبابا وتصفية خلافاته مع حاكم كيش.

بنى اسوار اوروك المحصنة
وحرم «أي-انا» المقدس والمعبد الطاهر
فأنظر الى سوره الخارجي تجد افاريزه تتألق كالنحاس
وانعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء ص٧٤

ولا يمكن لشعب مثل شعب اوروك -الشيوخ- الانحياز مع الشعب الملاحق والمضطهّد. وهم -الشيوخ- الذي يمثلون صوت المدينة الاستشاري والمؤثر فيها. ولمجلس الشيوخ مصلحة، ان لم تكن مجموعة مصالح مع جلجامش، لذا ظلوا في اكثر من موقف معه وبغض النظر عن نتائج ذلك الموقف وانعكاساته على العلاقات وسط المدينة.

لقد انتهى الدور المرسوم لانكيدو، بعدما ساهم بتحقيق اهم الانجازات للملك جلجامش واحدث تغييراً كبيراً في سبل ووسائل انتاج الثقافة.

ويمثل موته حسماً لصراع مرير بين قوتين، يمثلان مرحلتين. وانتهى



الصراع باستتاب السلطة البطرياركية وتعمق هيمنتها وازاحتها للسلطة القمرية. لكنها خسرت مواقعها، واكتفت بوجود تأثير ثقافتها في الحياة، وتشتغل كصراع في الداخل. لكنها غادرت والى الابد تلك السيادة التي لم يكن لها فيها منازع خلال فترة طويلة جداً وهي مكتفية انذاك بصياغة ديانتها وانتاج ثقافتها.

اشار د. يوسف حوراني في كتابه المهم «البنية الذهنية والحضارية في الشرق المتوسطي الاسيوي القديم» الى ان التفوق يجعل لجلجامش امتيازات فيصل بعدها الى الاستبداد. وهذا الرأي يثير اشكالاً حول التطورات التي لحقت بشخصية الملك جلجامش والتحولات المهمة والخطيرة في آن والتي تميزت بها مرحلة مابعد تخليق انكيدو ودخوله الى مدينة اوروك، ونشوب الصراع المعروف بينهما، الصراع الذي لم ينتصر فيه جلجامش وقد تحمست اغلب الدراسات الى الملك ومنحته الانتصار، ويبدو بأن كل الدراسات اهتدت بالقراءات الاولى التي اطلقت هذا الرأي.

ان الملك جلجامش لايعني شيئاً بدون انكيدو، من حيث بنية القوة الخارقة جداً، وهو لم يستطع انجاز مهامه الاساسية الا مع انكيدو، الذي كان قوة اضافية وخارقة في آن، مثلما تميز بامكاناته الاستشارية والعقلية.

لذا فأنا اكثر ميلاً لبقاء الصراع بين الطرفين متكافئاً و لم يحسم لصالح جلجامش .

سار انكيدو الى الامام وخلفه البغي
ولما دخل اوروك، ذات الاسواق الواسعة
تجمع الناس حوله
حيث وقف في شارع اوروك، ذات الاسواق



تجمهر الناس حوله وقالوا عنه:
انه مثيل لجلجامش في البنية
ولكنه اقصر قامة واقوى عظماً
انه اقوى من في البلاد وذو بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر في البادية
وفي اوروك لن تنقطع قعقعة السلاح
فرح الابطال وهللوا قائلين
لقد ظهر بطل ند وكفوء للبطل الجميل
اجل ظهر لجاجامش، الشبيه بالإله، نظيره ومثيله ص٩٢

كان انكيدو قوياً وجباراً في آن. وهو شخص صحراوي عنيد. وتعتبر هزيمته اهانة له، وشرخاً في شخصيته، لانه لم يعرف الهزيمة من قبل و لم يواجهها، اضافة الى ذلك فانه الذي قال:

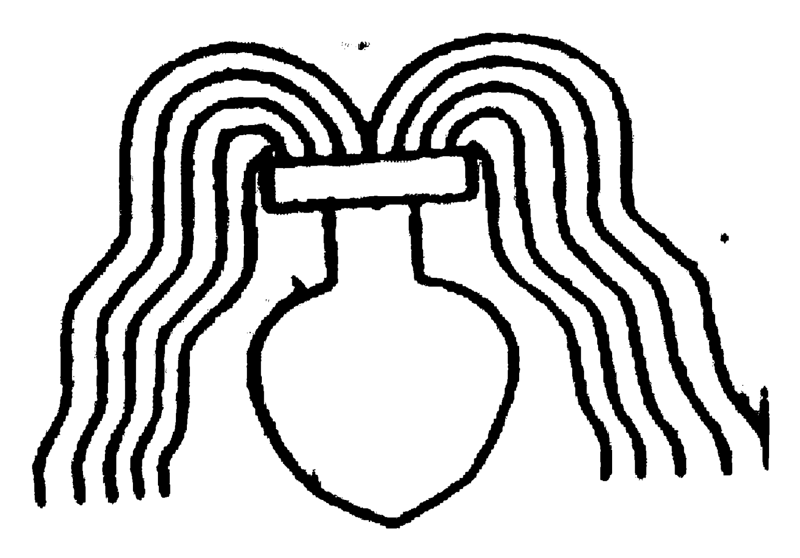
ساصرخ في قلب اوروك. انا الاقوى
اجل انا الذي سابدل المصائر
ان الذي ولد في الصحراء هو الاشد والاقوى

ويضيء لنا هذا النص ما نحاول تلمس شفراته وتأكيدها، ولايوجد نص اكثر وضوحاً ودقة منه. ومنه نستلم اشارات واضحة وصريحة على قوة انكيدو الخارقة، مادام النص لم يتضمن اشارة صريحة على هزيمته. ويساعدنا هذا النص على معرفة اوسع بشخصية انكيدو المالك للقدرة على ابدال مصائر الناس. هذا الذي لم يتوفر لجلجامش ، و لم يشر له النص، على الرغم من انه مكون من اللاهوت+الناسوت. وابدال المصائر



وتغير النواميس لايستطيع عليها إلا الالهة. فمن اين جاءت انكيدو هذه القدرات الالهية؟ وكيف يجرؤ على التصريح بذلك.

ان الذي ولد في الصحراء هو الاشد والاقوى ص٨٤



شكل -٨ الاناء الفوار القرن ٢٣ ق.م

كان دخوله الى اوروك سبباً اساسياً في اثارة الفرح في نفوس الناس الذي اضطهدهم الملك، ومارس معهم فعل الاخصاء والتعطيل الكامل. لذا كانت رؤيتهم للرجل الاقوى اعظم منٍ جلجامش والاقصر منه مبعث فرح وسرور. وكان الابطال اكثر زهواً به، كي ينقذهم من تعطل بطولتهم.



ان انكيدو مدرك للمهمة التي سيقوم بها. لذا اوجد لنفسه مساحة داخل اوروك من خلال التجوال في شوارعها واماكن تجمع الناس فيها واختار الاسواق المشهورة والمزدحمة مكاناً. لان الناس انتبهت للشبه بينهما واكتشفت ذلك.

انه اقوى من في البلاد، وذو بأس شديد

هذا هو رأي الناس الملتمين حول انكيدو، انه اقوى حتى من جلجامش، وهذه الاراء سمعها انكيدو وعرف بها جلجامش حتماً. فهل يعقل ان يتجاهل ملك مثل جلجامش ما يجري في مملكته؟ حتماً قد استلم الموقف الشعبي بعد دخول الشخص الغريب اليها.

لقد كان الصراع واضحاً بين السلطة السياسية/ جلجامش وبين القاعدة الاجتماعية /أنكيدو، ولذا فأن شكواهم ارتفعت الى الاله آنو. كما ان اتساع قاعدة المضطهدين، ومحاصرة مدينة اوروك من جهات عديدة باعداء تقليدين مثل كيش، وحلمهم بالتوسع وصراع جلجامش وآجا. من هذا اعتقد بان الذي حدث مع انكيدو وامامه في السوق قد وصل الى الملك بتفاصيله وهو يشكل تحدياً له، تجسد بقوة انكيدو الجسدية والتي تظهر عند عتبة باب المعبد، لحظة دخوله او محاولته لذلك.

وانكيدو هو الوحيد القادر على ابدال المصائر في اوروك وتثير الامكانيات السؤال والاستفهام حول مصدرها وكيف توفرت له هذه الطاقة الخارقة.

يا «اورورو» انت التي خلقت هذا الرجل
فأخلقي الان غريماً له



وليكن مضاهياً له في قوة اللب والعزم
وليكون في صراع مستديم، لتنال اوروك الراحة والسلام ص٧٩

كان التدخل السماوي بواسطة «آنو» الذي استمع لشكات الناس وامره الى «اورورو» لتخليق انكيدو الذي اكتسب وحمل كثيراً من صفات آنو.

جاء الصياد الى ابيه وفتح فاه وقال له:
يا ابي! أرأيت رجلاً عجيباً قد انحدر من التلال
انه اقوى من في البلاد وذو بأس شديد
وهو في شدة بأسه وقوته مثل عزم آنو ص٨٠

من هنا فأن الجذور المكونة لقوة انكيدو الخارقة والاستثنائية، مضافاً لها اكتساب تربيته الطويلة في الصحراء

لقد رضع لبن حيوان البر في البادية ص٨٩

ويعرف جلجامش تماماً -كما قلنا- قوة انكيدو، حتى قبل تحقق بنية الجذب نحو اوروك، لان الصياد تحدث مع ابيه عن الانسان الغريب الذي لم ير مثيلاً له من قبل، واصيب بالخوف والهلع لرؤيته واقترح الاب على ابنه الصياد الذهاب الى جلجامش الذي يتمتع بقوة خارقة ايضاً واخبره عن انكيدو واقترح عليه الحل.

يا بني! يعيش في اوروك جلجامش



الذي لامثيل له في البأس والقوة
هو في شدة بأسه مثل عزم آنو
فاذهب الى اوروك، وول وجهك شطرها وانبئ
جلجامش عن بأس هذا الرجل ص٨١

واتضح لنا بان الملك وعلى الرغم من بطشه وجبروته، كان ممكناً الالتقاء به والتحاور واياه، لانه ايضاً كان مجبولاً على صورة آنو ولم يستغرب جلجامش من انكيدو، ولم يفاجأ به، او بوجوده، حتى قبل مجيئه، لان جلجامش رآه في الحلم وشرحت له والدته «ننسون» رؤياه وما يهمنا من الذي قالته:

انه صاحب قوي
انه اقوى من في البلاد وذو عزم شديد
وعزمه مثل عزم آنو وذو بأس شديد ص٩٢

هذه الموجهات المهمة، تقدم لنا شذريات دقيقة وتساعدنا على قراءة العلاقة بين الاثنين، حيث توفر لنا ما يؤكد انحيازنا الى انكيدو في انتصاره على جلجامش، او تعادله على الاقل.

انه اقوى من في البلاد، وذو بأس شديد
لقد رضع لبن حيوان البر في البادية

هذا النص يمثل صوتاً خارجياً، آت من محيط المدينة وممثلاً لسكان اوروك ولايمكن التشكيك بدقته وصوابه وامكاناته على التأويل



وتعدد مستويات القراءة. ولانكيدو صفات عامة وخاصة، متماثلة مع جلجامش، حتى ان النص الملحمي اضفي عليه صفات الملك، وتلك واحدة من اهميات النص، لانه اوجد تعادلاً بينهما حتى يرسم لنا صورة ابهى للصراع المتكافئ بينهما.

اجل ظهر لجلجامش، الشبيه بالاله، نظيره ومثيله ص٩٢

لقد اتسعت مساحة صفات انكيدو المتماثلة مع صفات الملك جلجامش على الرغم من انه ظل متميزاً بصفته الالوهية، وهذا وحده الذي يميزه عن صديقه انكيدو. وهذا يدفعنا بحماس للتأويل الخاص بتفجر الصراع بين الاثنين والذي لم يحسم لصالح احدهما بشكل واضح ودقيق لان الغاية التي خلق انكيدو لاجلها هي للحد من طغيان جلجامش، وليس للقضاء عليه والحلول محله. ويحل الكاتب هذه العقدة بأن يجعل انكيدو يلتقي بجلجامش ويتصارعان طويلاً وبعنف. انتهى بأن تصادقا معاً صداقة حميمة وقررا التعاون للقضاء على الاشرار في الارض وتخليد اسميهما باعمال البطولة.

****

أي جلجامش «أنكيدو» الهائج
الذي ولد في البادية ويجلل رأسه الشعر الطويل
فأنقض عليه وهاجمه
تلاقيا في موضع سوق البلاد
سد «أنكيدو» الباب بقدميه
ومنع جلجامش من الدخول
امسك احدهما بالاخر وهما متمرسان «بالصراع»
وتصارعا وخارا خوار ثورين وحشيين



حطما عمود الباب وارتج الجدار
وحينما انثنى جلجامش ركبته وقدمه ثابتة في الارض
«يرفع أنكيدو»
واستدار يمضي..
هدأت سورة غضبه ص ٩٣

ان تشريح هذا النص وتفكيكه وقراءة شذراته اللغوية، سيساعد على تأكيد قوة واقتدار انكيدو على قهر جلجامش.

أي جلجامش/ انكيدو الهائج/ الذي ولد في الغابة/ فانقض عليه/ وهاجمه/ سد انكيدو الباب بقدميه/ ومنع جلجامش من الدخول.

يلاحظ بأن صرخة الابتداء هي لانكيدو «أي جلجامش» صرخة الوعيد والتحدي والاستعداد للمنازلة، لا بل الانتقام واعلان السخرية والاحتقار، صرخة العداء الواضح المحتوية على اقتدار حسم النزال ولانه عازم على قهر جلجامش، ابتدأ النزال، كان الاول فيه، لانه مدرك بان المبادر في المعركة هو المنتصر وهو الذي سيحسم النزال لصالحه:

فأنقض عليه وهاجمه «الحق به اهانة كبيرة عندما سد الباب بقدميه» وأهان بذلك ثوابت الالهة في اوروك، لانه منع وعطل واحداً من عناصرها الدينية المهمة وهو طقس الزواج المقدس، وبذلك اعلن عن مرحلة جديدة، مهمة وخطيرة في آن. مرحلة الابتعاد عن هذا الطقس او حتى الغائه، لاننا لم نعثر على نص في الملحمة ولا في النصوص الاسطورية الخمسة، والتي انتجتها الحضارة السومرية الى ما يشير من قريب او بعيد على استمرار او بقاء هذا الطقس، بل تقدم لنا الملحمة شعيرة واضحة على ابتداء مرحلة التغير، ممثلاً ذلك بتعرض عشتار للاهانة والضرب. وهذا يعني في واحدة من مستويات تأويله وفحصه، هو تعطل طقس



الزواج المقدس ان يكون قد تمرد[٥٠] اذا كان رفضه يتعلق بطقوس الهيكل وهذا مايفسر انتقام الالهة عشتار منه. وهذا يلزمنا لفحص هذه الشعيرة الفكرية الجديدة فحصاً غير منعزل، عن المنظومة الاجتماعية/ والسياسية/ والاقتصادية التي أنتجتها ومنحتها مايشبه السيادة في اوروك، ولتشكل منها منظومة جديدة ناشئة في احضان اوروك، بعد دخول انكيدو اليها. هذا الدخول المطلوب والمناضل من اجله عبر مستويات متعددة مختلفة. لكنها في المحصلة النهائية حققت حلم التخليق والجذب وحدوث التغير. لكنه تغير خطير. ويمثل انقلاباً، لا بل ثورة على العناصر الفكرية السائدة آنذاك.

ولقد توفرت لهذا التحول الموضوعي عوامل عديدة اشرنا اليها. وهي متمثلة باضطهاد جلجامش لسكان اوروك وقهرهم واستباحة الفتيات، مضافاً لذلك طبيعة نظام العمل العبودي، لان «العبيد» يشكلون قاعدة كبيرة، وتقع عليهم متاعب صعبة، ولايستطيعون النهوض بها. فكان دخول انكيدو مساهمة فعالة تمثلت بالتغير الحاصل في العلاقة بين المؤسسة الدينية والسياسية وبنى القاعدة الشعبية. وكان لهذا انعكاس على العلاقة مع فئات «العبيد» لان النظام[٥١] العبودي نظام عام في العصور القديمة، ويعتبر النظام الاجتماعي الذي ساد الشرق القديم هو شكل من اشكال العبودية. لقد كان المجتمع البابلي من حيث الجوهر مجتمعاً عبودياً تسوده طبقة ملاكي العبيد والمتوسطين. كان المجتمع البابلي مجتمعاً عبودياً من حيث الجوهر، لان طبقة ملاكي العبيد والصغار والمتوسطين هي السائدة. وحصول المتغيرات بعد دخول انكيدو، لابد وان شملت مجتمع اوروك كله. وانعكس بشكل وبأخر على فئات العبيد،

---

(٥٠) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٩٦.

(٥١) د. يوسف حوراني، سبق ذكره، ص٢٩٦.



لان طبقة الملاكين الصغار قد تأثرت بالمتغيرات الحاصلة في اوروك، ولقد كان [٥٢] جلجامش الفرد الحر الوحيد في مجتمع العبيد. كان ملك مطلق السلطات، اقوى الرجال جسداً واكثر ملاحة وذكاء، مفعماً بالحيوية والنشاط الدائب، لاتهدأ حركته ليل نهار. ولعل هذا التفوق الجسدي، هو ما دعى الى الاعتقاد بالجانب الالهي في شخصيته والعودة بنسبه الى الالهة ننسون.

لم يكتفِ انكيدو بسد الباب بقدمه، بل منع دخول جلجامش الى المعبد، من اجل ممارسة طقوس الاتصال المقدس، واندفاعه بذلك هو في الوقت ذاته يعني الحماس الكبير من اجل استكمال رسالته، وتمرده وثورته. ويبدو ان جلجامش جاء ماشياً الى المعبد، حيث التحم الاثنان معاً و لم يشر النص الى مجيئه راكباً.

وقراءة سريعة في النصوص الخاصة بالخصام بين الاثنين ودلالتها وارتباطها، مع المحيط الاطاري لها، والمساهم بتفعيل القراءة وتنويع مستوياتها سنجد فيها انكيدو مهاجماً ومتحدياً وبلغة مشحونة بالسخرية. واشار الاستاذ فراس السواح الى استشارة اهل اوروك بظهور انكيدو ناجم عن توقعهم لصراع دائم بين الجبارين يصرف جلجامش عن مظالمه، كما تقول التفسيرات، وتوقعهم لتنافس عادل بين بطلين متفوقين في كل شيء من شأنه تحييد طاقة جلجامش بطاقة معادلة لها.

ان الذي صاغ الملحمة قد ادرك ضرورة الموازنة بين الاثنين والتوصل الى نهاية فيها التناظر الذي يوفر ارضاء للقوتين، حيث لايمكن الانحياز لوافد غريب، واعلان انتصاره بالصراع مع الملك. لان الذي كتب هو

---

(٥٢) فراس السواح، كنوز الاعماق، قراءة في ملحمة جلجامش ، نيقوسيا، قبرص، ص٢٤١.



جزء من بنية المؤسسة السياسية والدينية اذا ما كان مركزاً مهماً وحساساً لان الكهنة هم كتاب الاناشيد والاساطير والملاحم، لذا كان صوت جلجامش حاضراً في لحظة تفجر الصراع، لكن الذي كتب لم يندفع كلياً باتجاه الملك، بل قدم التماعاً مهماً عن انكيدو وقوته واحتمالات انتصاره لكنهم اوجدوا موازنة كما قلت، خلقت مسلكاً مشتركاً بينهما، ووحدت بين الاثنين توحيداً براغماتياً، اوجدته حركة المصالح الذاتية، اكثر مما دفعتهم اليه الفواعل الموضوعية، لذا تغيرت لهجة الخطاب في المقطع الثاني:

امسك احدهما بالآخر وهما متمرسان «بالصراع»
وتصارعا وخارا ثورين وحشيين
حطما عمود الباب وارتج الباب ص ٩٢

لقد عرف جلجامش قوة الغريب الوافد، وايقن بأنه غير قادر على كبحه، وعليه ان يختاره صديقاً، وخلاً له، ويعتمد عليه في الكثير من المهام المؤجلة. كما انه خاف الهزيمة في الصراع واياه، وهذا يعني حلول الكارثة عليه امام سكان اوروك.



شكل-٩ صراع البطل مع الحيوانات



الفصل الخامس

لغز انكيدو

اقام انكيدو اتصالاً ادخالياً مع كاهنة الرغبات التي ارسلت اليه. من اجل ترويضه واعادة صياغة شخصيته. وتحقق لها ما ارادته المؤسسة الدينية منها. بعد ان اتصل معها ستة ايام وسبع ليال، بحيث تحول انكيدو الى شخص آخر، وصار مثل اله. وبعد هذا الاتصال الذي اشارت له الملحمة لم ترد اشارة ابداً على اتصال او محاولة اتصال مع المرأة خلال الفترة الطويلة التي قضاها انكيدو في مدينة اوروك.

لقد توقفت العلاقة الشهوية مع المرأة تماماً وهذا يثير كثيراً من الاسئلة والاستفهام حول هذه الملاحظة، وسنحاول تقديم تأولينا لهذا العطل اعتماداً على القراءة الماوراء نصية .

* بقاء انكيدو مرتبطاً مع الجذر الصحراوي الذي تشكل منه في البداية، وظل هذا مكبوتاً داخل اعماقه، ساهم بالاشتغال بعد كمونه فترة طويلة. حيث كان للبرية التي نشأ فيها اثر واضح على شخصيته، وساهمت بتكوين ابرز ملامحها، منها الغضب وسرعة التوتر والحدة. وهذا واضح منذ لحظة دخوله الى مدينة اوروك ومشاجرته مع جلجامش، وتصرفه مع عشتار وخمبابا. هذه كلها علامات واضحة على الحدة والمزاج الصعب.

ومن ملامح بدويته، محاولته معاودة حياته السابقة، المتوحشة مع



الحيوانات التي رفضته، وظل منخذلاً بسبب تسرب قوته مع كاهنة الرغبات، وصاحبة المعرفة التي زودته بها، فالبغي -كما قال فراس السواح- المقدسة التي ارسلها جلجامش كي تؤثر عليه وتقوده الى المدينة، هي رسولة عشتار ووكيلة حكمتها.

* عندما خلقته «اورورو» بناء لطلب الاله «آنو» بعد شكوى سكان اوروك. عاش في الصحراء مع الحيوانات كي «يفرح لبه مع حيوان البر عن مساقي الماء» وكان الاتصال معها متماثلاً مع طريقة اتصال الحيوان مع نظيره. ووجد في المرأة وسيطاً انسانياً، لتأكيد ثنائية العلاقة الايجابية لان ذكرى حياته البرية ظلت ملاحقة له، تطارده مهيمنة على سلوكه وتصرفاته وكان له فعل تأثيري واضح، الا انه فعل خفي. وظل انكيدو في مواجهة متطلبات الحياة الجديدة التي ادخلته في صراعات قوية، اهمها التحدي المشترك لثوابت الفكر العراقي القديم.

* واجه الحرية المقيدة داخل اوروك، وتقلصت مساحة حركته الكلية. وظل محاصراً من خلال حاكمية الارتباط مع العناصر الجديدة، والوظائف المتنوعة التي اوجدها المجتمع في اوروك، وانتجتها الحضارة المدينية، وعززتها يوماً بعد آخر. لذا ظل تابعاً لحركة المدينة والنظم المؤسساتية السائدة في اوروك. ولانه فقد حريته الكاملة، ظل بانتظار فرصة ثانية وجديدة تعيده الى البرية. واي فحص لبنية الجذب الانكيدوي، تكشف لنا بوضوح بان دخوله الى اوروك لايمثل انتقالاً من مكان الى اخر فقط ولم ينتج هذا الانتقال عناصره الفكرية المؤثرة الجديد. بل ظل خاضعاً لعناصر ونوافذ مكانه الاول، البري الصحراوي. ومن هذا كله نعرف، بانه يعاني الاغتراب وسط المدينة. وكان احساسه به مدمراً، وشعر بذلك جلجامش لذا صرح



له وقبل سفرتهما الى غابة الارز بان اهداف السفرة للترويح عنه. وتتجسد نقمة انكيدو على المدينة، من خلال لعنته على كاهنة الرغبات، لانها كانت محور بنية الاتصال ومن ثم الجذب نحو اوروك.

إسلب الصياد ماله واحل به الوهن
وعساك ان لاتتقبل منه اعماله
وعسى ان يفر كل صيد يروم اقتناصه
وان لاتتحقق له امنية من اماني قلبه
تعالي ايتها البغي اقدر لك مصيرك
وهو مصير لن ينتهي الى الابد
سالعنك لعنة كبرى
ستحل بك لعانتي في الحال
لن تستطيعي ان تبني بيتاً يليق بجمالك
ليكن اكلك من فضلات المدينة
ستكون زوايا الدروب المظلمة مأواك
وفي ظل الجدار سيكون وقوفك
وسيلطم السكران والصاحي خدك
وعسى ان ينبذك عشاقك بعد ان يقضوا وطرهم من
سحر جمالك ص ١٢٠

ان تحقق بينة الجذب نحو اوروك كان اقصاءاً جغرافياً في حقيقته، لانه ظل على هامش حياته الاوروكية، لذا شعر باغترابه فيها و لم يستطع الجذب تصعيد بنية الدمج الكلي ثقافياً، لانه ظل يفكر بوعي مرحلة



التكوين بعد الخلق. على الرغم من مضي فترة طويلة، على وجوده في المدينة، وجسد الانتقال، امامه محنة الرجل المنفي الذي لم يكن قرار النفي طوعياً وواعياً لذا عزم جلجامش الترفيه عنه كما قلنا سابقاً. لانه عرف قساوة النفي والابعاد القسري، كما ان وجوده في المدينة لم ينتج غير الانكسار والخذلان والاحساس بالاضطهاد.

ينظر المنفي الى غير المنفي بشيء من الحقد -كما قال ادوارد سعيد- لانه لاينتمي الى محيطه الطبيعي. حاول انكيدو «التعويض عن خسارته في انشاء عالم جديد يفرض عليه سلطانه» بواسطة الافعال الخارقة والممارسات البطولية. لكنه فشل في تحقيق ذلك، وواجه نهايته اغتيالاً. ولاحساس انكيدو بذلك، فانه لم يرد توسيع هذا الموقف الحياتي والفلسفي، عبر اقترانه بامرأة ما او حتى عقد صداقة معها. و لم يشأ شمول غيره -امتداد النسلي- بذلك لان العلاقات السائدة في مدينة اوروك -بفترة انتاج الملحمة- ذكورية / بطرياريكية ، فقدت فيها المرأة هيمنة خطابها الفكري، واستسلمت لخطاب الذكورة.

ان حياة المنفي تسير بحسب تقويم مختلف. فصوله اقل وضوحاً واقل رتابة وتتابعاً منه في ظروف العيش في الوطن. فالمنفي هو الحياة المعاشة خارج نظام المألوف، وتتضارب نغماتها وما ان يألفها الانسان حتى تفجر قوتها المزعزعة من جديد كما قال الاستاذ ادوارد سعيد.

* يبدو بأن جلجامش قد ساهم بشكل من الاشكال بابقاء انكيدو بعيداً عن المرأة(لدينا دراسة عن علاقة مثليه بينهما) لم نعثر على اشارة له متضمنة مسعاه لاقامة علاقة وبشكل مابين انكيدو والمرأة. و لم يفكر حتى بدفعه الى الاتصال، وهو العارف بحيوية انكيدو الجنسية بشكل جيد ويكمن وراء موقف جلجامش محاولته للحفاظ على



الطاقة الجسدية الكامنة فيه، وعدم سفحها بالاتصال مع المرأة. مضافاً الى ان الملك جلجامش يرغب بابقاء علاقة انكيدو محدودة ومحصورة به ولايريد شخصاً يقاسمه تلك العلاقة.

* وردت اشارة في اللوح الثاني عشر، والذي لم يكن في النص الملحمي، ونرى ضرورة فحصها :

لا تلبس نعلاً في قدميك
ولا تحدث صوتاً في العالم الاسفل
وإذا وجدت الزوجة التي وجدتها فلا تقبلها
والزوجة التي تبغضها لاتضربها
ولاتقبل الابن الذي تكره
والا فأن بكاء العالم الاسفل سيغلبك ص ١٧٤

ان كلمة «الزوجة» التي تضمنها النص لم يكن المقصود بها زوجة انكيدو، وانما هي مدلول عام، أي المرأة المتزوجة. ولو كان المقصود بها زوجة انكيدو، لكانت صيغة النص مختلفة «اذا وجدت زوجتك» ولو كان هذا هو الصحيح فما ضرورة وجود «واذا وجدت الزوجة التي تبغضها لاتضربها» لان الزوجة واحدة وهي التي احبها. اذن كان المقصود بها المرأة المتزوجة والموجودة في العالم الاسفل. اما «التي تحبها+التي تبغضها» فهي المحبة والبغض الناشئ تواً، لحظة معاينة المرأة في العالم الاسفل. كذلك الحال مع الابن الذي يحب والذي يكره.

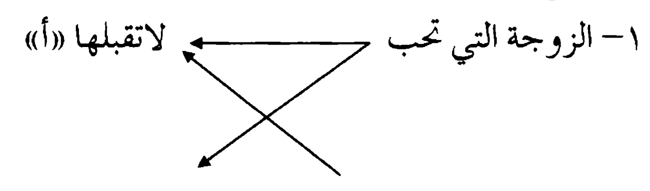


وهذا ما توصل اليه الاستاذ طه باقر[٥٣]، لكن انكيدو لم يلتزم بنصائح جلجامش:

وقبل المرأة التي احب وضرب المرأة التي ابغض
وقبل الابن الذي احب وضرب الاين الذي كره
فغلبه صراخ العالم الاسفل وعويله ص ١٧٤

ويبدو ان الثنائية التي عرفها الفكر العراقي القديم،قد امتدت ايضاً الى متن النص الملحمي. لكنها ثنائية متناقضة. وتجسد هذا في النتائج النهائية للافعال التي اشار لها النص وهذا ما يكشف عنه المخطط التالي:

١- الزوجة التي تحب ← لاتقبلها «أ»



بنية صعود انساني   بنية انحسار غير انساني

٢- الزوجة التي لاتحب ← لاتضربها «ب»

بنية انحسار غير انساني   بنية صعود انساني

ونلاحظ بأن بنية الصعود في رقم (١) تكون مع امتدادها النازل بنية

---

(٥٣) أخبرني د. ناشل حنون بأن النص هو من المرددات الثابتة والتي يلقن بها كل من ينزل الى العالم الاسفل.

متطابقة، مثلما تكون بنية الصعود (٢) مع امتدادها الصاعد بنية متطابقة ايضاً. وبنية النازل والصاعد تشكل بنية نفي. لكنه نفي طارد للمشاعر الانسانية، ويمنحنا في الصعود الثاني ملمحاً انسانياً بينما في النازل يسلبنا ملمحاً انسانياً، وهنا نمو بنية الشيء وضده مرة اخرى، في هذا النص وسنلاحظ هذا في

١ + أ = بنية صعود ←——— انحسار

٢ + ب = بنية انحسار ←——— صعود

١ + ٢ = صعود ←——— صعود

٢ + أ = انحسار + انحسار

الصعود الانحسار

١- الانحسار ╳ الصعود
الصعود الانحسار

٢- الانحسار ╳ الصعود
الصعود الانحسار

٣- الانحسار ———→ الصعود

وبملاحظة التراسيم، سنجد البنية ونقيضها. البنية الايجابية ونقيضها،



الانطفاء والرماد وهي ثلاثة: الاولى + الثالثة + الخامسة اما نقيضها فهي الثانية + الرابعة + السادسة

حيث ستكون بنية الصعود

١- الصعود ٣- الصعود ٥- الصعود

٢- اما بنية الانحسار فهي ٢+٤+٦

ويتضح بأن الانحسار بنية هذا المقطع من النص، وهو انحسار دائم وابدي لان العالم الاسفل يمثله ويعبر عنه ويشير اليه بوضوح تام. لذا كانت خاتمة الترسيم هي الانطفاء الكامل. ونلاحظ ايضاً ان الثنائية المتناقضة والتي ابتدأ خط المتابعة فيها من بنية الصعود ووجدناه ينتهي في بنية الانحسار، فأنه سينتهي بها ايضاً. من هذا نتأكد من خلال اختلاف الترسيمات بأن بنية الانحسار/الرماد/الموت، هي المسيدة في نص نزول انكيدو الى العالم الاسفل.

****

عرف انكيدو قوة المرأة وهيمنة الرغبة عليه، وسلطان الاتصال وادراك فاعلية الخطاب الانثوي في تغيير مسار حياته، حيث تحول بفعلته الى انسان بري "بدائي" لايعرف شيئاً في كيفية الوصول الى الانسان والتحاور معه، لكنه في الاخير اتصل بالمرأة التي ارسلت اليه، وهي ممثلة للآلهة عشتار، لان كل الديانات(٥٤) بدأت عشتارية، وكل سر من اسرار الطبيعة. وحكمه من حكمها وخبيئة من خبايا النفس الانسانية، وعلاقة من علائق القوى الخفية، قد ابانتها عشتار في كل جزء او اشارة لبني البشر وعالم البشر. وبذلك لعبت المرأة دور المعلم الاول، في تاريخ الحضارة.

---

(٥٤) فراس السواح، لغز عشتار، ص٢٤٠.



فالمرأة اكثر حساً بالخفي والماورائي من الرجل، واكثر منه تديناً وايماناً بالقوى الالهية، واكثر شفافية وروحية، فيما يتجه العقل الرجولي للتعامل مع ظواهر المادة. تتجه نفس المرأة الى تحسس العوالم الروحانية، وتلمس القوى الباطنية. مما جعلها الكاهنة الاولى والعرافة الاولى، وناطقة الوحي الاولى، في المجتمع الامومي القديم القائم على حق الام وسيادة المرأة الاجتماعية. وسلطات عشتار الكونية، لذلك تأسست المرأة قبل الرجل وقادت بيده من ايقاع المادة الرتيب الى ملكوت الروح الانسانية الرحيبه. ويبدو بأن كاهنة الرغبات «شمخت» قد نجحت في اداء وظائفها كما قال ساندرز -الروحية والثقافية والاجتماعية. وكانت الوظيفة الروحية من اهم تلك الوظائف، والتي تفوقت بها، عندما ارسلت من اجلها الى الصحراء. وتمكنت من تطويقه وترويضه، وتجسدت وظيفتها الاجتماعية في محاولتها لاقناع انكيدو المتوحش في دخول اوروك. ليحقق التوازن والتناظر بين قوتين هما جلجامش وانكيدو، حتى تستطيع اوروك الحياة بهدوء واستقرار ولتتخلص الى الابد من اضطهاد ملكها جلجامش.

ويدخل فعلاً انكيدو الى المدينة. لكن العلاقة بين انكيدو والمرأة ظلت مسكوتاً عنها في النص الملحمي والاساطير السومرية المكتوب عنه.

وظلت العلاقة الاتصالية مع كاهنة الرغبات هي الاولى والاخيرة في حياة انكيدو حتى وفاته. واعتقد بأن انكيدو كان متمكناً من الزواج او الاتصال لاشباع رغباته ولو مؤقتاً. لكن هذا لم يتحقق ابداً.

كانت الفرصة واسعة امام انكيدو من اجل الزواج او اقامة علاقة اتصال وللاسباب التالي:

* علاقة الملك مع انكيدو. الملك المالك لكل شيء، والقادر على تحقيق مايريده انكيدو، حتى ولو كان صعباً ومستحيلاً.
* خاصية علاقة انكيدو مع الالهة «ننسون» ومقدرتها على توفير مايريد



وتحقيق مايحلم به، اذا كانت المرأة حلماً له. وهي -ننسون- التي اطفأت البخور وعوذت واحضرت الكاهنات والبغايا المقدسات والمتبتلات ودعت اليها انكيدو واوصته قائلة:

يا انكيدو القوي، الذي ليس من رحمي
قد اتخذتك منذ الان ولداً
ثم قلدت عنقه بقلادة جواهر لتكون موثقة منه
وقالت له:
ها انني ائتمنك على ولدي فأرجعه الي سالماً ص١٠٤

شكل - ١٠ انكيدو مع البغي

يفصح النص عن امكان تحقيق الاقتران بالمرأة او اقامة اتصال معها لان «ننسون» وحدها او من خلال سلطتها قادرة على توفير ذلك. فهي امه وان لم تلده.

* مباركة الاله «آنو» له ومناصرته في كل شيء وحتى في اصعب الامور.
* مكانة انكيدو الرفيعة وسط اوروك، واستعداد سكانها تلبية مايريد ويحلم به.
* من الاسباب الجوهرية التي منعت انكيدو من الزواج، او اقامة علاقة اتصالية مع امرأة، هي ميوله اللوطية التي يرشح عنها النص مثلما يومئ المسكوت عنه في العلاقة الثنائية.

«فأخبرها ابن الصياد» هو ذا (يا) شمخت فأكشفي مفاتنك اليه

اكشفي جسمك العاري ويتمتع بمفاتنك

اجعليه يصعد على الظهر ويتمتع

فعندما يراك سوف يقترب منك

اطرحي الثياب ودعيه يستلقي عليك

اجعليه يمارس عمل المرأة

وسوف تنكره دوابه التي ترعرت في بريته

وسيضغط صدره بقوة على ظهرك

فكشفت شمخت المحظية صدرها وكشفت جسمها العاري

وتملك الوحش مفاتنها

لم تخف عندما مارس معها الحب على الظهر

خلعت ملابسها واستلقى عليها



وجعلته يمارس عمل المرأة

وضغط صدره بقوة على ظهرها

وبقي انكيدو مواصلاً المحظية شمخت لستة ايام

وسبعة ليال وعندما شبع من لذتها توجه نحو

دوابه(٥٥)

النص واضح ولايقبل الاختلاف. ولكن من الممكن ان يتخذ التأويل مسلكاً مغايراً، ويتمثل برأي مفاده ان انكيدو، قد خلق في البرية وعاش مع الحيوانات ورآها كيف تتصل بأنثى الحيوان. فظلت الصورة الحسية كامنة في ذاكرته، لذا نصح ابن الصياد شمخت ان تعطيه ظهرها. وهذه قراءة ممكنة، والميول اللوطية ممكنة اكثر لان طريقة الاتصال والافعال التي يمارسها توحي بممارسة اللواطة [اجعليه يصعد على الظهر ويتمتع/ وسيضغط صدره بقوة على ظهرك/ وضغط صدره بقوة على ظهرها]. وما يعزز تأويلنا بشذوذ انكيدو، هو ابتعاده تماماً عن العلاقة الثنائية مع المرأة، ولعنته عليها بعد مرضه.

وتجسدت ذات العلاقة التي اقامها انكيدو مع الحيوانات في البرية عندما كان يرافقها ويرفه عن لبه واياها. ويبدو بأن كاهنة الرغبات مدركة لشذوذ انكيدو [على الرغم من ان اللواطة لم تكن انحرافاً انذاك وكانت معروفة في بلاد فارس وعدد من بلدان الشرق الادنى، وكان عدد غير قليل من الغلمان في معبد انانا لهذا الغرض] كانت الرسالة المبلغة اليها من ابن الصياد، تتضمن ابلاغاً صريحاً. لذا فأنها لم تستغرب

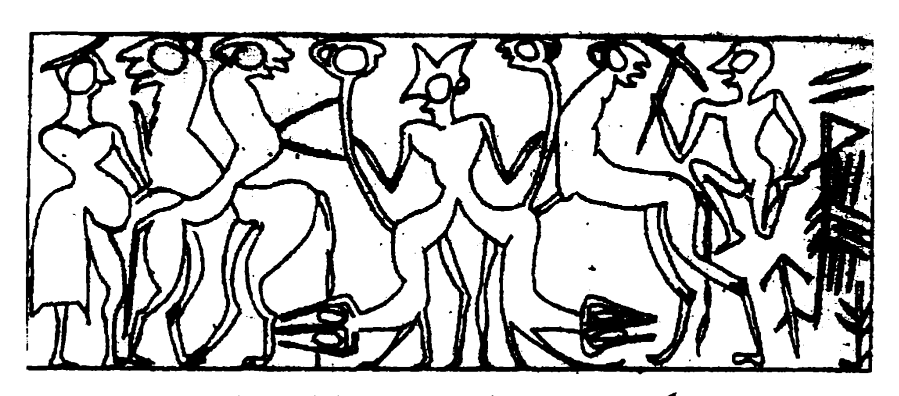
(٥٥) د. سامي سعيد الاحمد، جلجامش ، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٠، ص١١٨.



من طريقة الاتصال وتوجد نصوص خاصة[٥٦] حول تفاصيل العلاقات الجنسية نفسها وتشير الى ان كلاً من السلوك الاعتيادي والانحرافات الجنسية المعروفة [كاللواط والسحاق والتبظير] كانت مشابهة تقريباً في بلاد ما بين النهرين لما هي عليه في اوربا الحديثة.

عرفنا بأن كاهنة الرغبات، هي المسؤولة عن تربية انكيدو سلوكياً ومعرفياً وحققت نجاحاً بذلك. وبما ان ممارسة الجنس جزء من تلك المعرفة والثقافة كان يفترض بها ان تعلمه الطريقة التي كانت متبعة في الاتصال الثنائي والتي كانت معروفة وشائعة. لان اكثر اوضاع المضاجعة[٥٧] شيوعاً كان الوجه للوجه بحيث تكون المرأة على ظهرها.

بينما وفرت كاهنة الرغبات فرصة ان يأتيها من ظهرها وظل ممارساً معها لستة ايام وسبع ليال.



شكل – ١١ ختم اسطواني عن صراع البطل مع الحيوانات

---

(٥٦) د. هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة د. عامر سليمان، ١٩٧٩، ص٢١٠.

(٥٧) د. هاري ساكز، سبق ذكره، ص٢١٠. ونشر ساكز صورة لممارسة فعل اللواطة بين رجل وامرأة، لكنه اشار بان لتلك الممارسة وظائف دينية وللاطلاع يراجع ص ٥٠-٠ من كتابه المشار اليه.




مكتبة
الفكر الجديد

فهرس الأشكال




مكتبة
الفكر الجديد

الفهرست




مكتبة
الفكر الجديد

صدر للكاتب:

١ – أغنية في قاع ضيق (قصص)
٢ – الشمس في الجهة اليسرى (قصص بالاشتراك)
٣– النهر رواية عن وزارة الثقافة بغداد
٤– شرق السدة: شرق البصرة رواية عن وزارة الثقافة
٥– مدينة البحر رواية عن وزارة الثقافة
٦– موسى وأساطير الشرق، الدار الأهلية/ عمان
٧– الأسطورة والتوراة/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت
٨– التوراة السياسي/ الدار الأهلية عمان
٩– أقنعة التوراة/ الدار الأهلية عمان
١٠– أساطير الآلهة في بلاد الرافدين/ دار المدى
١١– ملحمة كلكامش والتوراة/ دار المدى
١٢ – تأويل النص التوراتي/ أسطورة نبات اللقاح/وعقائد الخصب الكنعاني/ دار المدى
١٤– التفاحة والناي/ الأسطورة في كتاب اليوم، كتاب الساحر/ السليمانية.
١٥– خطوات المطر قراءة في نصوص كردية/السليمانية.
١٦– فان ايروتك/ أسطورة الثلوج الخضر دراسات عن الشعر والقصة الكردية.
١٧– الاطراس الاسطورية في الشعر العربي الحديث/ أمانة عمان الثقافية.
١٨– نون والقوس الاسطورة في ثلاثة نصوص للشاعر عبدالله روضان/ عمان
١٩– الفأر يأكل الشوكولاته/ الموروث/ في سرديات سعدي المالح، دار الحوار اللاذقية



٢٠- جغرافية الخراب قراءات في قميص النار/ تحرير

٢١- قبعة موفق محمد/ قراءة ونصوص، دمشق دار تموز.

٢٢- الأصول الاسطورية في قصة يوسف التوراتي/دمشق دار تموز.

٢٣- القرابات المتخيلة/ دمشق دار تموز.

٢٤- تقشير النص/ انانا كلكامش شجرة الخالوب/دار المدى.

٢٥- موقد الثلج/الاسطورة في الشعر الكوردي المعاصر/ وزارة الثقافة اربيل.

٢٦- الجنس في أساطير وأديان الشرق/ دمشق دار تموز.

٢٧- الرمز الاسطوري في الفن العراقي/ جواد سليم انوذجا. وزارة الثقافة دائرة الفنون التشكيلية.

٢٨- الابيض كان اسود/ دار تموز دمشق.

٢٩- متخيل الشعر في الاساطير، الاب يوسف سعيد انموذجا، اربيل.

صدر عنه:

١- الأسطورة والتوراة/ محمد احمد العلي بغداد.

٢- ناجح المعموري/ الاسطورة التي تبقى/شكر حاجم الصالحي.

شارك بالكتب التالية:

١- زياد ابو لبن/ فضاء المتخيل ورؤيا النقد

٢- حبة الخردل/ خالص ايشوع بربر

٣- دراسات بفين

٤- وديع شامخ/ باسم فرات في المرايا

٥- اتحاد الادباء والكتاب في بابل/ النور المذبوح

٦- اتحاد الكتاب العرب الموعد المالح في الزمن المالح



ملحمة جلجامش أوّل نص سردي/شعري في تاريخ الحضارات الإنسانية. وصار مركزاً دالاً على المرحلة الاكدية، التي استطاعت إعادة إنتاج الأساطير السومرية الخمس وجعلت منها نصّاً ملحميّاً جسّد الصراعات المحتدمة بين الأنظمة الثقافية وخصوصاً نظام الأم الكبرى والآلهة المؤنثة والنظام الذكري الذي توفّرت له الشروط الموضوعية والذاتيه للصعود، وانهيار النظام الثقافي والديني للام الكبرى. لم يكن نص الملحمة منشغلاً بثنائية الحياة والموت مثلما هو شائع، لأن هذه الموضوعة عرفتها كل الحضارات، بل تمركزت حول صراع النوع ولم ينسحب النظام الثقافي والديني للأم الكبرى كلياً بل ظلّ حاضراً عبر عقائده وطقوسه ورموزه. وارتحلت كلّها إلى النظام الثقافي الجديد الذي أضفى عليها خصائصها الثقافية. وتبدّى هذا أكثر وضوحاً مع الرموز الأمومية.

هذه الدراسة بداية مشروع المعموري الخاص بالمسكوت عنه،

صدر للمؤلف عن دار المدى ملحمة جلجامش والتوراة، وتقشير النص.

مكتبة
الفكر الجديد

تصميم الغلاف: رولا ماجد


ISBN 284306206-3
9 782843 062063